فتح الكريم الوهاب

في الوقوف على ما نهي عنه من السباب

د. عبدالله السواح الجندي الأزهري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَتحُ الكَرِيمِ الوَهَّابِ

في الوقوفِ

على ما نُهي عنه من السِّبَابِ

إعداد

د/ عبدالله السواح الجندي الأزهري

(أبوهَنَّاد)

الواعظ العام بالأزهر الشريف
وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف - سابقًا
وإمام مسجد ومركز بيت المقدس بأمريكا
دكتوراه في الفقه المقارن

قدم له وراجعه ثلة من العلماء الأفاضل

أ.د/ صلاح الصاوي
الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا الشمالية

أ.د/ أحمد عبدالحي محمد عويس
أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن والعميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر

أ.د/ مصطفى مراد
الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر

(١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اسم الكتاب: فتح الكريم الوهاب في الوقوف على ما نهي عنه من السباب.

اسم الكاتب: عبدالله السواح.

تصميم الغلاف: عبير محمد.

تدقيق لغوي: محمود البكري.

رقم إيداع: ٦٧٣٦ / ٢٠٢٠.

ترقيم دولي: ٤ – ٨١ – ٦٥٩٤ – ٩٧٧ – ٩٧٨

دار النشر

The Writer Operation

شارك سطورك مع العالم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

سورة البقرة، الآية: ٨٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه –

عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ ذَكَرَ الْإِسْلَامَ وَالصَّلَاةَ وَالْجِهَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟" قَالَ: قُلْتُ: بَلَى قَالَ: " فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: أَكْبِبْ عَلَيْكَ هَذَا". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ" أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟".

"رواه البيهقي"

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة أصحاب الفضيلة

العالم الجليل الأستاذ الدكتور / صلاح الصاوي

الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا الشمالية

العالم الجليل الأستاذ الدكتور / أحمد عبدالحي محمد عويس

أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن

والعميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر

العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ مصطفى مراد

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر

والمستشار العلمي لجمعية سفراء الهداية، ومن كبار علماء الجمعية الشرعية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تقديم العالم الجليل الأستاذ الدكتور/

صلاح الصاوي

الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا الشمالية

هذا الكتاب

لوحة أخلاقية بديعة!

تفنن كاتبه في استقراء مجالات أدب اللسان، وصونه عن السب والطعن والفحش، بدءً من النهي العام عن السب، وتأكيدًا لشناعة – سب – النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام، ثم مرورًا بالتحذير من سب الأموات والتائبين، وسب بعض الأجناس كسب قريش وأهل اليمن، وانتهاءً بسب الريح والحمى والديك، بل والشيطان! وإيراد بعض المواضع التي ضعف فيها النهي كسب الدنيا والسلطان ونحوه.

هذا الكتاب إضافة لطيفة في بابه، وخُطوة على طريق الترشيد الأخلاقي للعمل الإسلامي، والله أسأل أن يجزي مؤلفه خير الجزاء، وأن يكون حلقة في سلسلة عطآته العلمية المباركة بإذن الله، وأن يجعله نورًا يسعى بين يديه يوم القيامة إن شاء الله.

د/ صلاح الصاوي

الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقديم العالم الجليل الأستاذ الدكتور/

أحمد عبد الحي محمد عويس

أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن وعميد كلية الشريعة والقانون بأسيوط الأسبق

بسم الله الرحمن الرحيم

فقد قرأت كتاب فتح الكريم الوهاب في الوقوف على ما نُهِي عنه من السباب، والكتاب جيد في بابه، أحسن المؤلف في اختيار موضوعه، فقد عني الإسلام عناية بالغة بمكارم الأخلاق، بل بَيَّن لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه إنما بُعِث ليُتَمِّم مكارم الأخلاق، ويُحسَب للمؤلف أنه جمع أكبر قدر من الأدلة، والشواهد التي تنهى عن السباب والفسوق، وتبين أن المسلم لا يكون سبابًا ولا لعانًا، بل المسلم مَن سلم الناس من لسانه ويده، وذلك من خلال منهجية علمية ولغة سليمة وأسلوب راق، وأغلب الظن أن ما يمكن أن يعثر عليه القارئ من أخطاء في الصياغة، أو الإعراب، أو التركيب إنما هو من أخطاء الطباعة، أو سهو القلم وسبق.

لكني كنت أتمنى أن يَذكُر المؤلف بعض ما ورد عن الصحابة، والتابعين من سباب، فهم في الأصل بشر، والبشر يخطئ ويصيب، غير أنهم كانوا يتداركون فيرجعون ويعتذرون، فها هو أبو ذر يقول لبلال يا ابن السوداء، فيشكوه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فيقول له: يا أبا ذر، أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية، فيعتذر من بلال.

وأخيرًا، أسأل الله العظيم أن ينفع بهذا الكتاب المؤلف والقارئ والناشر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أ. د / أحمد عبد الحي محمد عويس

أستاذ الفقه المقارَن

وعميد كلية الشريعة والقانون بأسيوط الأسبق

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تقديم العالم الجليل الأستاذ الدكتور/

مصطفى مراد صبحي

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية والمستشار العلمي لجمعية سفراء الهداية ومِن كبار علماء الجمعية الشرعية

الحمد لله والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد،

فقد نظرت في كتاب فتح الكريم الوهاب في الوقوف على ما نُهِي عنه في السباب، فألفيته كتابًا نافعًا مفيدًا لكل مسلم ومسلمة.

لا سيما في هذا الزمان الذي انتشر فيه الفُحش والتفحُّش كما ثبت في أشراط الساعة، لكنني أود أن يضيف الأستاذ الكريم، والباحث المحقق (أبو هناد عبد الله السواح الأزهري) إلى كتابه بعض المواضيع التي أراها تُزيد الكتاب نورًا وبهاءً ومنها:

١ – تغيير العنوان ليكون فتح الكريم الوهاب فيما ورد في السباب.

٢ – حكم سب النبي – صلى الله عليه وسلم – من كتابي (يهودي أو نصراني).

٣ – حكم سب بقية الأنبياء – عليهم السلام –.

٤ – هل يُستتاب ساب النبي – صلى الله عليه وسلم –.

٥ – ما ورد في شعر الهجاء وحكمه.

٦ – السب بالإشارة (الهمزة واللمزة).

٧ – حكم سب الملائكة – عليهم السلام – وسب اليهود لجبريل – عليه السلام –.

٨ – حكم سب القرآن أو آية منه.

٩ – الأحوال التي تجوز فيها الغيبة.

١٠ – حكم من سب عقيدة أو شريعة من شرائع الإسلام.

١١ – حكم من سب رب العزة جل وعلا.

وهذا لا يقلل من قدر الكتاب وكاتبه، بل هي إضافات وخيرات وبركات لهذا الكتاب الذي نحتاجه في هذا الزمان.

هذا وبارك الله في المؤلف وكتبه، وجزاه الله خيرًا على ما قَدَّم، وأود منه أن يُصَنِّف كتبًا أخرى لإخواننا في أمريكا.

الأستاذ الدكتور/ مصطفى مراد صبحي

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية

والمستشار العلمي لجمعية سفراء الهداية

ومن كبار علماء الجمعية الشرعية

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضِل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.....

ثم أما بعد،

فإن شأن الأخلاق في ديننا الإسلامي عظيم، ولا يشك في ذلك مسلم، ولذلك مدح الله – تعالى – نبينا – صلى الله عليه وسلم – في قرآنه بأخلاقه فقال – تعالى –: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(١)، وكذلك أعلى النبي – صلى الله عليه وسلم – من شأن الأخلاق؛ فذكر لها فضائل عديدة منها فضائل دنيوية وأخرى آخروية، منها على سبيل المثال لا الحصر، أنه شهد لأصحاب الأخلاق الحسنة بالخيرية، فعن مسروق، قال: كنا جلوسًا مع عبد الله بن عمرو، يحدثنا، إذ قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا، وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا».(٢).

ومنها: أن من حَسُن خلقه، كان من أحباب الله – تعالى – فعن أسامة بن شريك، قال: كنا عند النبي – صلى الله عليه وسلم –، كأن على رؤوسنا الرخم، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه ناس من الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أفتنا في كذا، أفتنا في كذا، فقال: «أيها الناس، إن الله قد وضع عنكم الحرج، إلا امرؤ اقترض من عرض أخيه فذاك الذي حرج وهلك» قالوا: أفنتداوى يا رسول الله؟، قال: «نعم، فإن الله لم يُنزِل داءً إلا أنزل له دواءً، غير داء واحد»، قالوا: وما هو يا رسول الله؟، قال:

---

١) سورة القلم، الآية: ٤.

٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج٨/١٣، برقم ٦٠٣٥.

«الهرم»، قالوا: فأي الناس أحب إلى الله، يا رسول الله؟، قال: «أحب الناس إلى الله أحسنهم خُلُقًا».(١).

ومنها: أنه – صلى الله عليه وسلم – جعل درجة حسن الخُلُق مساوية لدرجة الصائم المصلي، فعن عائشة، قالت: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن المؤمن ليدرك بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم".(٢).

قال الكلاباذي: "الصائم والقائم يجاهدان أنفسهما؛ لأن في الصيام والقيام مخالفة النفس، إذ النفس حظها واستمتاعها بالمطاعم والشراب والنكاح، والصائم يُمنَع عن هذه الأشياء، والنفس أمارة بالسوء، تدعو إلى هذه، وبهذه الأشياء تتقوى هذه النفس، بالنوم تربو وتنمو، والقيام يمنع النوم، والصائم والقائم يجاهدان كل واحد منهما نفسه، ومن جمعهما، فإنما يجاهد نفسًا واحدة، فيعظم قدره، وتعلو رتبته بمجاهدته نفسه، قال الله – تعالى –: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}(٣)، ومن حسن خُلُقه، فإنما يجاهد نفسه في تحمُّل أثقال مساوئ أخلاق الناس؛ لأن الحسن الخُلُق هو الذي لا يُحمِل غيره ثقله، ويتحمل أثقال غيره، وهو جهاد كبير، فأدرك هذا بحُسن خُلُقه درجة الصائم القائم؛ لأنه يجاهد نفسه كما يجاهدها الصائم القائم، فاستويا في الرتبة؛ لاستوائهما في الفعل الذي هو مجاهدة النفس".(٤).

ومنها: أنه – صلى الله عليه وسلم – ضمن لأصحاب الأخلاق الحميدة بيتًا لا نقول في الجنة فقط، وإنما نقول في أعلى الجنة، فعن أبي أمامة، قال: قال رسول

---

١) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من حسن خلقه في الدنيا كان من أحب الناس إلى الله تعالى، ج٢/٢٣٦، برقم ٤٨٦، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج١/ ٣٣٤.

٢) رواه أبو داود، السنن، أول كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ج٧/١٧٦، برقم ٤٧٩٨، وصححه المحقق.

٣) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

٤) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار صـ ٢٥٩.

الله – صلى الله عليه وسلم –: "أنا زعيم(١) ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه".(٢).

ومنها: أنه – صلى الله عليه وسلم – أخبر أن حُسن الخُلُق أثقل شيء في ميزان العبد، فعن أبي الدرداء، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حسن، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء».(٣).

قال الطيبي: "أوقع قوله: (وإن الله يبغض الفاحش البذيء) مقابلًا لقوله: ((إن أثقل شيء يوضَع في الميزان) دلالة على أن أخف ما يوضَع في الميزان هو سوء الخُلُق".(٤).

فإن دل هذا وغيره الكثير، فإنما يدل على مكانة الأخلاق في هذا الدين الحنيف، والتنفير من مساوئها، ولما كان اللسان له دور كبير لا يُستَهان به في الأخلاق حُسنها وسيئها، جعله نبينا – صلى الله عليه وسلم – من أكثر الأشياء التي تُدخِل العبد الجنة أو النار، فعن معاذ بن جبل، قال: قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم؟.(٥).

---

١) الزعيم: الضامن والكفيل، والزعامة: الكفالة ومنه قوله – سبحانه وتعالى–: {وأنا به زعيم} [يوسف: ٧٢]. معالم السنن للخطابي ج٤/ ١١٠.

٢) رواه أبو داود، السنن ، أول كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ج١٧٨/٧، برقم ٤٨٠٠، وحسنه المحقق.

٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ج٣٦٢/٤، برقم ٢٠٠٢، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٨٩/١.

٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٣٢٣٥/١٠.

٥) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة السجدة، ج٢١٤/١٠، برقم ١١٣٣٠، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ج٣/ ٨٩.

وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يُدخِل الناس النار، فقال: «الفم والفرج».(١).

قال الطيبي: "وهاتان الخصلتان – تقوى الله وحسن الخُلُق – موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما لدخول النار، فأوقع الفم والفرج مقابلًا لهما، أما الفم، فمُشتَمِل على اللسان، وحفظه ملاك أمر الدين كله، وأكل الحلال رأس التقوى كله".(٢).

لما كان الأمر كذلك، وكان للّسان هذا الشأن العظيم، وددت أن أقف على بعض المساوئ التي يتلفظ بها هذا اللسان، حتى ينتبه لها المسلمون؛ فيجتنبوها، وهذه المَسَاءَة التي أردت أن أتحدث عنها هي السب والشتم، ووضعت لدراستها عنوانًا أسميته: –

"فتح الكريم الوهّاب في الوقوف على ما نُهِي عنه من السِّبَابِ"

فما تعريف السَّبِّ؟ وما الفرق بينه وبين السِّبَابِ؟ وما دليل النهي العام عنه؟ وما موقف النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين منه؟ ومن ورد فيه نهي خاص عن سبه؟

هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا البحث المتواضِع، وقد سرت في كتابته على النحو التالي: –

أولًا: الاستدلال بالقرآن الكريم على النهي إن وجد.

ثانيًا: الاستدلال بما اتفق المحدثون على صحته من الأحاديث.

---

١) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح غريب، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ج٣٦٣/٤، برقم ٢٠٠٤، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٦٦٩/٢.

٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٣١٢١/١٠.

ثالثًا: الاستدلال بما اختلف المحدثون في صحته من الأحاديث، ولكن أكثرهم على صحته أو حسنه.

رابعًا: أعرضت عن ذكر ما اتفق المحدثون على ضعفه (في عناوين النواهي).

خامسًا: من باب العلم وضعت لما ضعف من الأحاديث باتفاق المحدثين أو أكثرهم فصلًا مستقلًا في آخر البحث، ونبهت هناك على ضعفه حتى يكون القارئ منه على بينة.

وأخيرًا: قَسَّمت البحث أربعة فصول:

الفصل الأول: تعريف السَّبِّ والفرق بينه وبين السِّبَابِ.

الفصل الثاني: النهي العام عن السَّبِّ وموقف النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين منه.

الفصل الثالث: مَن ورد نهي خاص صحيح عن سبه.

الفصل الرابع: مَن ورد نهي خاص ضعيف عن سبه.

فأقول وبالله التوفيق والعون والمدد،

الفصل الأول

تعريف السَّبِّ والفرق بينه وبين السِّبَابِ

وينقسم هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف السَّبِّ.

المبحث الثاني: الفرق بين السَّبِّ والسِّبَابِ.

المبحث الأول

تعريف السَّـــبِّ

وينقسم هذا المبحث مطلبين:

المطلب الأول: تعريف السَّبِّ لغة:

السَّبُّ هو: الشتم والقطع.

قال الرازي: (السَّبُّ) الشتم والقطع والطعن وبابه رد، و (التساب) التشاتم والتقاطع. وهذا (سبة) عليه بالضم أي عار يسب به. ورجل سبة يسبه الناس. و(سببة) كهمزة يسب الناس.(١).

المطلب الثاني: تعريف السَّبِّ اصطلاحًا:

السُّبُّ هو: الشتم، ونسبة الشخص إلى العار.(٢).

وقيل السَّبُّ هو: ذكر العيب، فإن كان في مقابلة الشخص، فهو سبّ، وإن كان في غيبته، فهو غيبة، وإن كان كذبًا، فهو بهتان وسبّ أو غيبة.(٣).

---

١) مختار الصحاح صـ ١٤٠، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج١/١٤٤ ، ١٤٥.

٢) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ج٣/ ٣٩٦.

٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ج٢/٦٣١.

المبحث الثاني

الفرق بين السَّبِّ والسِّبَابِ

السَّبُّ والسِّبَابُ كلاهما مصدر سب يسب سبًا وسبابًا، ومنهم من يقول: السباب أشد من السب؛ لأن السباب يكون بما في الإنسان وما ليس فيه، بخلاف السب.(١).

قال إبراهيم الحربي: "السِّبَابُ أشد من السَّبِّ، وهو أن يقول في الرجل ما فيه، وما ليس فيه، يريد بذلك عيبته ".(٢).

١) شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري لعبدالكريم الخضير ج٣/٩.

٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ج١٠/١٧٨.

الفصل الثاني

النهي العام عن السَّبِّ

وموقف النبي - ﷺ - والصحابة والتابعين منه

وينقسم هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: النهي العام عن السَّبِّ والتحذير منه.

المبحث الثاني: موقف النبي - ﷺ - والصحابة والتابعين من السِّبَابِ.

المبحث الأول

النهي العام عن السَّبِّ والتحذير منه

المتأمِّل في القرآن الكريم، وفي أحاديث نبينا – صلى الله عليه وسلم – يجد النهي العام، والتحذير من سب كل المخلوقات، سواء أكان هذا المخلوق إنسًا أم جنًا أم ملكًا أم حيوانًا؛ وذلك لأن الله – تعالى – ونبيه – صلى الله عليه وسلم – يريدان أن يطهرا لسان المسلم من الفحش والبذاءة، ومن هذه التحذيرات والنواهي العامة عن السب والشتم ما يلي:

١ – قال الله – تعالى – {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ}.(١).

وجه الدلالة:

دلت هذه الآية الكريمة على النهي عن السب مطلقًا، وذلك في قوله – تعالى – {وَلَا فُسُوقَ}، على قول بعض المفسرين، قال العيني: "وقال آخرون: الفسوق ههنا السِّبَاب، قاله ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومجاهد والسدي وإبراهيم والحسن".(٢).

وقال الرازي: "أما الفسوق، فاعلم أن الفسق والفسوق واحد، وهما مصدران لفسق يفسق، وقد ذكرنا فيما قبل أن الفسوق هو الخروج عن الطاعة، واختلف المفسرون، فكثير من المحققين حملوه على كل المعاصي، قالوا: لأن اللفظ صالح للكل ومتناول له، والنهي عن الشيء يوجب الانتهاء عن جميع أنواعه، فحمل اللفظ

---

١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج٩/ ١٩٠.

على بعض أنواع الفسوق؛ تحكم من غير دليل، وهذا متأكد بقوله – تعالى –: {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}(١)، وبقوله: {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}.(٢).

وذهب بعضهم إلى أن المراد منه بعض الأنواع ثم ذكروا وجوهًا:

الأول: المراد منه السِّبَاب، واحتجوا عليه بالقرآن والخبر، أما القرآن، فقوله – تعالى –: {وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ}(٣)، وأما الخبر، فقوله – عليه الصلاة والسلام –: «سِبَابُ المسلم فسوق وقتاله كفر».(٤).

٢ – عن سليم بن جابر الهجيمي – رضي الله عنه – قال انتهيت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو محتب في بردة له وإن هدبها لعلى قدميه فقلت يا رسول الله، أوصني قال: "عليك باتقاء الله ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، وتكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار؛ فإنها من المخيلة، ولا يحبها الله، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك؛ فلا تعره بشيء تعلمه منه، دعه يكون وباله عليه وأجره لك، ولا تسبن شيئًا، قال: فما سببت بعده دابةً ولا إنسانًا".(٥).

قال الهروي: «لا تسبن أحدًا» "أي: لا تشتمه، وإنما عهد – عليه الصلاة والسلام – عدم السب؛ لعلمه أنه كان الغالب على حاله ذلك، فنهاه عنه".(٦).

---

١) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

٢) سورةالحجرات، الآية: ٧.

٣) سورةالحجرات، الآية: ٧.

٤) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ج٨/١٥، برقم ٦٠٤٤، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ج١/٨١، برقم ٦٤. ينظر : مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي ج٥/٣١٧، وتفسير البغوي ج١/ ٢٢٧.

٥) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، فصل من البر والإحسان، ج٢/٢٧٩، برقم ٥٢١، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط.

٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٤/ ١٣٤٥.

وفي رواية ثانية للحديث نهي – صلى الله عليه وسلم – المسلم عن السب حتى وإن كان مسبوبًا، مع أنه يجوز له الانتصار لنفسه، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «وإذا سبك رجل بما يعلمه فيك؛ فلا تسبه بما تعلم فيه، فإنه يكون أجر ذلك لك، ووباله عليه».(١).

قال الطحاوي: "في هذا الحديث، أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالصفح، وترك السباب لمن سب".(٢).

وقال الصنعاني: "والحديث حث على الأفضل، وإلا فإنه يجوز الانتصار {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ}(٣)، قيل للحسن: ذكرك الحجاج بسوء، فقال: علم ما في نفسي، فنطق عن ضميري، وكل امرئ بما كسب رهين".(٤).

وقال المناوي: "وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك، فلا تعره أنت بأمر هو فيه؛ لأن التنزه عن ذلك من مكارم الأخلاق، ومن ذم الناس ولو بحق؛ ذموه ولو بباطل، ومن ثم قال بعضهم:

ومن دعى الناس إلى ذمه، ذموه بالحق وبالباطل ".(٥).

٣ – عن سمرة، قال: نهانا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نسب، وقال: " إن كان أحدكم سابا صاحبه لا محالة، فلا يفتري عليه، ولا يسب والديه، ولا يسب قومه، ولكن إن كان يعلم ذلك، فليقل: إنك لبخيل، أو ليقل: إنك جبان، أو ليقل: إنك كذوب، أو ليقل: إنك لؤوم ".(٦).

---

١) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الزينة، موضع الإزار، ج٨/٤٣٤، برقم ٩٦١٦، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣/١٠٠.

٢) شرح مشكل الآثار الطحاوي ج٨/ ٤٤١.

٣) سورة الشورى، الآية : ٤١.

٤) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٢/٨٧.

٥) فيض القدير للمناوي ج١/١٢١.

٦) رواه الطبراني، المعجم الكبير، باب السين، سليمان بن سمرة عن أبيه، ج٧/٢٥٣، برقم ٧٠٣٠، وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار فيه متروك، وفي إسناد الطبراني مجاهيل. مجمع الزوائد ج٨/٧٤.

المبحث الثاني

موقف النبي - ﷺ - والصحابة والتابعين من السِّبَابِ

وينقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف النبي - ﷺ - من السِّبَابِ.

المطلب الثاني: موقف الصحابة – رضوان الله عليهم – من السِّبَابِ.

المطلب الثالث: موقف التابعين – رحمة الله عليهم – من السِّبَابِ.

وفيما يلي بيان هذه المطالب:

المطلب الأول: موقف النبي - ﷺ - من السِّبَابِ

لا يشك أحد من المسلمين أن أبعد الناس عن السب هو النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنه الممدوح في القرآن بأخلاقه من قبل ربه – عز وجل –، وقد جاء من الأحاديث النبوية ما يؤيد ذلك، ومن هذه الأحاديث ما يلي:-

أ – عن أنس، قال: لم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاحشًا، ولا لعانًا، ولا سبابًا، كان يقول عند المعتبة: «ما له ترب جبينه».(١).

قال الطيبي: قوله: (ولا لعانًا ولا سبابًا) فإن قلت: بناء فعل للتكثير أو للمبالغة، ونفيه لا يستلزم نفي اللعن والسب مطلقًا؟.

قلت: المفهوم هنا غير مُعتَبَر؛ لأنه وارد في مدحه – صلى الله عليه وسلم – فإن أريد التكثير؛ فيعتبر بحسب من يستحق اللعن من الكفار والمنافقين، أي ليس لعانًا لكل واحد منهم، وإن أريد المبالغة، كان المعنى: أن اللعن بلغ في العظم حيث

---

١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٨/١٥، برقم ٦٠٤٦.

لولا الاستحقاق، لكان اللاعن بمثله لعانًا بليغ اللعن، نحو قوله – تعالى –: {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.(١).

وقوله: (ترب جبينه): أي غاية ما يقول عند الغضب والمخاصمة هذه الكلمة، وهي أيضًا ذات وجهين، إذ يُحتَمَل أن تكون دعاءً على المقول له بمعنى رغم أنفك، وأن تكون دعاءً له بمعنى سجد لله وجهك.(٢).

وعن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو على مضر، إذ جاءه جبرئيل، فأومأ إليه أن اسكت؛ فسكت، فقال: "يا محمد، إن الله لم يبعثك سبابًا ولا لعانًا، وإنما بعثك رحمة، ولم يبعثك عذابًا {لَيْسَ لَك من الْأَمر شَيْء أَو يَتُوب عَلَيْهِم أَو يعذبهم فَإِنَّهُم ظَالِمُونَ}(٣)، ثم علمه هذا القنوت: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونؤمن بك، ونخضع لك، ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ونخشى عذابك، ونخاف عذابك الجد إن عذابك بالكافرين ملحق". (٤).

ب – عن أنس قال: "خدمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عشر سنين، لا والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي: أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته"(٥)، وفي رواية "وما سب سبة قط".(٦).

وفي رواية أخرى عنه، قال: قدم رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين، فذهبت بي أمي إليه، فقالت: يا رسول الله، إن رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك غيري، ولم أجد ما أتحفك إلا ابني هذا، فاقبل

---

١) سورة آل عمران، الآية : ١٨٢.

٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج١٢/ ٣٧٠٤.

٣) سورة آل عمران، الآية : ١٢٨.

٤) رواه البيهقي وقال: هذا مرسل، وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيحًا موصولًا، السنن الكبرى، جامع أبواب صفة الصلاة، باب دعاء القنوت، ج٢/٢٩٨، برقم ٣١٤٢.

٥) أخرجه أحمد، المسند، ج٢٠/٣٣٤، ٣٣٥، برقم ١٣٠٣٤، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٦) رواه أبو الشيخ، ذكر الأقران وروايتهم عن بعضهم بعضًا، صـ ٤٨، برقم ١٣٩.

مني يخدمك ما بدًا لك قال: فخدمت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عشر سنين، فلم يضربني ضربة قط، ولم يسبني، ولم يعبس في وجهي، وكان أول ما أوصاني به أن قال: «يا بني، اكتم سري تكن مؤمنًا»، فما أخبرت بسره أحدًا، وإن كانت أمي، وأزواج النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يسألنني أن أخبرهن بسره؛ فلا أخبرهن ولا أخبر بسره أحدًا أبدًا".... (١).

ففي هذين الحديثين، أكد لنا أنس – رضي الله عنه – موقف نبينا – صلى الله عليه وسلم – من السب، من خلال واقع معاش لا كلامًا يقال فقط.

ج – عن أبي هريرة، قال: دخل أعرابي المسجد، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – جالس، فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد، ولا تغفر لأحد معنا! فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال: "لقد احتظرت واسعًا"، ثم ولى، حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول، فقال الأعرابي بعد أن فقه: فقام إليّ، بأبي وأمي، فلم يؤنب ولم يسب، فقال: "إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بني لذكر الله وللصلاة"، ثم أمر بسجل من ماء، فأفرغ على بوله ».(٢).

قال الجكني: "وفيه رأفة النبي – صلى الله عليه وسلم – وحسن خلقه".(٣).

وقال الهرري: "قوله: (فلم يؤنب) الأعرابي من التأنيب؛ وهو المبالغة في التوبيخ والتعنيف، (ولم يسب) الأعرابي؛ أي: لم يشتمه؛ أي: لم يوبخه ولم يشتمه".(٤).

---

١) رواه الطبراني، المعجم الصغير، باب الميم، ج١٠٠/٢، برقم ٨٥٦ ، وقال عقبه: لا يروى عن أنس بهذا التمام إلا بهذا الإسناد، تفرد به مسلم الأنصاري وكان ثقة.

٢) رواه ابن ماجه، السنن، أبواب الطهارة وسننها، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ، ج٣٣٢/١، برقم ٥٢٨، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٣) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري ج١٥٧/٥.

٤) شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى» ج٢٠٨/٤.

د – عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الصلاة، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، قال: فحدقني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكلاه، ما لكم تنظرون إلي؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يسكتونني، قلت: ما لكم تسكتونني؟ لكني سكت، قال: فلما انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، والله ما ضربني، ولا كهرني، ولا سبني، ولكن قال: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح، والتكبير، وتلاوة القرآن».(١).

قال السبكي: "وقوله: "ولا كهرني ولا سبني" أي ما انتهرني، ولا أغلظ عليّ القول، ولا استقبلني – صلى الله عليه وسلم – بوجه عبوس".(٢).

وقال ابن القيم: "(ولا سبني) أراد نفي أنواع الزجر والعنف، وإثبات كمال الإحسان واللطف".(٣).

هذا موقف نبينا – صلى الله عليه وسلم – من السباب، ولكن قد يشكل على هذا حديث عائشة الآتي: فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: دخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلان فكلماه بشيء، لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما، وسبهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئًا، ما أصابه هذان، قال: «وما ذاك» قالت: قلت: لَعَنْتَهُما وَسَبَبْتَهُمَا، قال: "أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته، أو سببته فاجعله له زكاةً وأجرًا"، وفي رواية عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «اللهم إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت

---

١) رواه الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب النهي عن الكلام في الصلاة، ج٢/٩٤٢، برقم ١٥٤٣، وصححه المحقق حسين سليم أسد الداراني.

٢) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود للسبكي ج٦/ ٣٠.

٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم ج٣/١٤٠.

عندك عهدًا لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته، أو سببته، أو جلدته، فاجعلها له كفارة، وقربة، تُقَرِّبه بها إليك يوم القيامة».(١).

فهذا الحديث الصحيح بروايتيه يبين أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سب في الرواية الأولى هذين الرجلين، وفي الرواية الثانية سب أناسًا آخرين غيرهما، فكيف يجمع بين هذا الحديث وما سبق من الأحاديث التي تنفي سبه – صلى الله عليه وسلم – لأحد من الخلق؟

قال العراقي: كيف يصدر من النبي – صلى الله عليه وسلم – الدعاء على مَن ليس أهلًا للدعاء عليه وكيف يسبه أو يلعنه أو يجلده وهو – عليه الصلاة والسلام – معصوم عن الكبائر والصغائر عمدًا وسهوًا؟

(قلت): قال النووي: الجواب ما أجاب به العلماء، ومختصره وجهان:

أحدهما: أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله – تعالى – وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له – صلى الله عليه وسلم – استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلًا لذلك، وهو – صلى الله عليه وسلم – مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

والثاني: إن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما خرج على عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله «تربت يمينك وعقرى حلقى» وكقوله في حديث أنس ليتيمة أم سليم «لا أكثر الله منك»، وفي حديث معاوية «لا أشبع الله بطنه»(٢)، ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف – صلى الله عليه وسلم – أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه – سبحانه

---

١) رواهما مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة، ج٤/٢٠٠٧، برقم ٢٦٠٠ ، ٢٦٠١.

٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة، ج٤/٢٠١٠، برقم ٢٦٠٤.

وتعالى – ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربةً وطهورًا وأجرًا، وإنما كان يقع منه هذا في النادر الشاذ من الأزمان، ولم يكن – صلى الله عليه وسلم – فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا ولا منتقمًا لنفسه، وقد صح أنهم «قالوا له ادع على دوسٍ فقال اللهم اهد دوسًا»(١)، وقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».(٢).

١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة دوس، والطفيل بن عمرو الدوسي، ج٥/١٧٤، برقم ٤٣٩٢، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار، وأسلم، وجهينة، وأشجع، ومزينة، وتميم، ودوس، وطيئ ج٤/١٩٥٧، برقم ٢٥٢٤.

٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج٤/١٧٥، برقم ٣٤٧٧، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ج٣/١٤١٧، برقم ١٧٩٢. شرح النووي على مسلم ج١٦/ ١٥٢ ، ١٥٣، وطرح التثريب في شرح التقريب للعراقي ج٨/١٣.

المطلب الثاني

موقف الصحابة – رضوان الله عليهم – من السِّبَابِ

أما الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – فقد اتخذوا النبي – صلى الله عليه وسلم – أسوة لهم، فمنذ أن سمعوا النبي – صلى الله عليه وسلم – ينهي عن السب، فما اقتربوا منه طرف عين، حتى أن أنسًا – رضي الله عنه – قال:" كنا نفتخر بالأعمال على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، يقول بعضنا لبعض: أنا أكثر منك غزوا، وأنا أكثر منك صدقة، وأنا أكثر منك حجا، وأنا أكثر منك ذكرا، وكان منتهى سباب أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – ثلاث كلمات فيما بينهم، لا يذكرون الآباء والأمهات، وإنما كان يقول الرجل لأخيه: إنك لجبان على العدو أن تقاتله، إنك لبخيل بالمال أن تنفقه، إنك لنؤوم عن الذكر إذا سمعته، هذا كان سباب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم ".(١).

وفيما يلي نماذج من اجتناب الصحابة – رضوان الله عليهم – للسب مطلقًا:

أ – فهذا سيدنا سليم بن جابر الهجيمي – وقد سبق حديثه – لمَّا نهاه النبي – صلى الله عليه وسلم – عن السب ماذا كان موقفه؟ كان موقفه من هذا النهي الاجتناب على التأبيد، ولذلك قال – رضي الله عنه –: "فما سببت بعده دابةً ولا إنسانًا"، وفي رواية ثانية: "قال: فما سببت بعده حرًا، ولا عبدًا، ولا بعيرًا، ولا شاةً".(٢).

قال البكري: (فما سببت بعده حرًّا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة) أشار به إلى كمال الامتثال، وعدم المشاحنة في شيء من ذلك.(٣).

---

١) رواه ابن شاهين، الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، باب فضل ما للعبد في حسن النية للخلق، ج١/١٥٦، برقم ٥٤٢.

٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، أول كتاب اللباس، باب مَاجاء في إسبال الإزار ، ج٦/١٨١، برقم ٤٠٨٤، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣/١٠٠.

٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج٥/٢٧٣.

وقال الهروي: "فما سببت بعده" أي: بعد عهده أحدًا "حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاةً" أي: لا إنسانًا ولا حيوانًا سدًا للباب، وإن كان يجوز سب إنسان مخصوص علم موته بالكفر، فإنه لا ضرر في عدم سبه، والأفضل الانشغال بذكر الرحمن حتى عن لعن الشيطان. (١).

قلت (أبو هَنَّاد): بل إنه أكد كلامه بالقَسَم، حتى لا يظن أحد أنه بالغ فيما يقول، ففي رواية ثالثة قال: "فوالذي ذهب بنفس محمد – صلى الله عليه وسلم – ما سببت بعده شيئًا، ولا بعيرًا، ولا غلامًا".(٢).

ب – وهذا سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فعن عمرو بن ميمون قال: "رأيت عمر – رضي الله عنه – رمى الجمرة من بطن الوادي، فقال: والذي أنزل على عبده سورة البقرة؛ لقد رأيته – صلى الله عليه وسلم – رماها ببطن الوادي، قال: ورمى رجل الجمرة، فأصاب رأس عمر، فوالله ما أخطأت الصلعة، فشجته، فرأيته رفع يده إلى رأسه، ثم نظر، فإذا الدم قد سال، فوالله ما أرسل إلى أحدٍ ولا سب أحدًا".(٣).

قلت (أبو هَنَّاد): ولكن يشكل على هذا – كما أشار إلى ذلك أستاذنا الدكتور أحمد عبد الحي في مقدمته لهذا الكتاب – أن بعض الصحابة وقع في هذه المساءة،

---

١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٤/ ١٣٤٥.

٢) رواه البيهقي، شعب الإيمان، حسن الخلق، ج١٠/٣٩٧، برقم ٧٦٩٠.

٣) رواه ابن كثير، مسند الفاروق، كتاب الحج، حديث في رمي الجمرة، ج١/٥١٤، برقم ٣٥٤، وقال المحقق: وفي إسناده: حديج بن معاوية: قال أحمد: لا أعلم إلا خيرا، وقال ابن معين: ليس بشي، وقال البخاري: يتكلمون في بعض حديثه، ثم قال المحقق: وله طريق أخرى: أخرجها ابن سعد بإسناد صحيح. أ.هـ. بتصرف. قلت: المحقق يقصد الرواية الآتية، فعن جبير بن مطعم قال:" بينما عمر واقف على جبال عرفة سمع رجلا يصرخ يقول: يا خليفة. يا خليفة ، فسمعه رجل آخر وهم يعتافون فقال: ما لك؟ فك الله لهواتك! فأقبلت على الرجل فصخبت عليه قلت: لا تسبن الرجل. قال جبير بن مطعم: فإني الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها إذ جاءت حصاة عائرة فنقفت رأس عمر ففصدت. فسمعت رجلا من الجبل يقول: أشعرت ورب الكعبة. لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبدا. قال جبير بن مطعم: فإذا هو الذي صرخ فينا بالأمس فاشتد ذلك علي ". رواه ابن سعد، الطبقات الكبري، ذكر استخلاف عمر – رحمه الله، ج٢/ ٢٥٤.

ففي حديث المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سببت رجلًا، فعيرته بأمه، فقال لي النبي – صلى الله عليه وسلم –: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم، فأعِنوهم».(١).

حل الإشكال:

قال ابن حجر: "ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال كما عند المؤلف في الأدب، قلت: على ساعتي هذه من كبر السن، قال: نعم،(٢) كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه، ومع كبر سنه، فبين له كون هذه الخصلة مذمومة شرعًا، وكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذًا بالأحوط، وإن كانت لفظة الحديث تقتضي اشتراط المواساة لا المساواة".(٣).

وقال الدكتور موسى شاهين لاشين: "والأحرى أن يقال: إنه استغضب فغضب، فأخطأ، فندم، فقد روي أنه ألقى بخده على الأرض وقال: لا أرفعه حتى يطأه بلال بقدمه، (٤) وإنما وبخه – صلى الله عليه وسلم – وعنفه مع عظم منزلته تحذيرًا له عن معاودة ذلك، وتنفيرًا لغيره من خصال الجاهلية الذميمة".(٥).

---

١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ج١/١٥، برقم ٣٠.

٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٨/١٦، برقم ٦٠٥٠.

٣) فتح الباري لابن حجر ج١/٨٧.

٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما وقفت عليه بلفظ قريب منه، عزاه العراقي لابن المبارك في البر والصلة، ولم أقف عليه أيضًا. ينظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ج٥/٢٠٤١.

٥) المنهل الحديث في شرح الحديث للدكتور موسى شاهين لاشين ج١/٢٩.

وعلى كلٍ فوقوع هذه المساءة من أحد الصحابة الكرام مرة، أو ما شابه ذلك، هو أمر نادر، والنادر لا حكم له كما نصت القاعدة الفقهية(١)، فلا يتعارض هذا مع كونهم أبعد الناس عن هذه المساءة؛ لأنهم تربية رسول الله – صلى الله عليه وسلم، فهم ليسوا بشرًا معصومين، بل هم بشر يصيبون ويخطئون.

١) موسوعة القواعد الفقهية ج٤/٣٠٦.

المطلب الثالث

موقف التابعين – رحمة الله عليهم – من السِّبَابِ

أما موقف التابعين من السباب، فلم يقل شأنًا عن موقف الصحابة الكرام، فقد اجتنبوا النهي الوارد عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وحذروا منه، بل عدَّه بعضهم من الربا، وفيما يلي نماذج من اجتنابهم لهذا النهي:

أ – عن ابن حرملة، قال: ما سمعت سعيد بن المسيب، سب أحدًا من الأئمة قط، إلا أني سمعته يقول: قاتل الله فلانًا كان أول من غير قضاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».(١).

ب – عن أبي بكر بن عياش عن عاصم قال: "ما رأيت أبا وائل سب دابة قط إلا الحجاج مرة واحدة، فإنه ذكر بعض صنيعه فقال: «اللهم أطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع »، قال: ثم تداركها بعد فقال: «إن كان ذلك أحب إليك»، فقلت: أتشك في الحجاج؟ قال: «ونعد ذلك ذنبًا».(٢).

ج – عن مسلم بن خالد، قال: حدثني المثنى بن الصباح، قال: « لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءًا».(٣).

د – قال مجاهد: من أربى الربى من سب سبتين بسبة.(٤).

---

١) أخرجه أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبقة الأولى من التابعين، ج١٦٧/٢.

٢) رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الأمراء، ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم، ج١٩٢/٦، برقم ٣٠٥٩٨.

٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧١/٦.

٤) شرح السنة للبغوي ج١٣/ ١٣٣.

الفصل الثالث

مَن ورد نهي خاص صحيح عن سبه

وينقسم هذا الفصل على ثمانية عشر مبحثاً:

المبحث الأول: التحذير والنهي عن سب الله – تعالى.

المبحث الثاني: التحذير والنهي عن سب النبي - صلى الله عليه وسلم -

المبحث الثالث: التحذير والنهي عن سب الصحابة – رضوان الله عليهم.

المبحث الرابع: التحذير والنهي عن سب المسلم.

المبحث الخامس: التحذير والنهي عن سب الأعراض .

المبحث السادس : تحذير الصائم ونهيه عن السب .

المبحث السابع: التحذير والنهي عن سب الوالدين.

المبحث الثامن: التحذير والنهي عن سب التائبين من أهل المعاصي.

المبحث التاسع: التحذير والنهي عن سب قريش.

المبحث العاشر: التحذير والنهي عن سب أهل اليمن.

المبحث الحادي عشر: التحذير والنهي عن سب الأموات.

المبحث الثاني عشر: التحذير والنهي عن سب تبع وورقة بن نوفل.

المبحث الثالث عشر: التحذير والنهي عن سب الدهر.

المبحث الرابع عشر: التحذير والنهي عن سب الريح.

المبحث الخامس عشر: التحذير والنهي عن سب الحمى.

المبحث السادس عشر: التحذير والنهي عن سب الديك.

المبحث السابع عشر: التحذير والنهي عن سب الشيطان.

المبحث الثامن عشر: التحذير والنهي عن سب آلهة الكفار.

المبحث الأول

التحذير والنهي عن سب الله – تعالى -

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، قال:" قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: أُرَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي".(١).

وفي رواية عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: إِنِّي لَا أُعِيدُهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَلَيْسَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَوَّلِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ ".(٢).

الشرح:

هذا هو التحذير الأول من التحذيرات والنواهي عن السِّبَاب، وهذا التحذير يتناول صاحب الكمال والعزة والجبروت، ألا وهو الله – عز وجل –، فما المراد بسبه – تعالى – في هذا الحديث؟ ولماذا نُهِي ابن آدم عن سبه – تعالى – بهذه الصورة؟

السؤال الأول: ما المراد بسبه – تعالى – في هذا الحديث؟

الناظر في الحديث السابق، يجد أن المراد بسبه – تعالى – وشتمه فيه، هو نسبة الولد له – عز وجل –، تعالى الله عن ذلك.

---

١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} [الروم: ٢٧]،ج٤/١٠٦، برقم ٣١٩٣.

٢) رواه النسائي، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، كتاب الجنائز، أرواح المؤمنين، ج٤/١١٢، برقم ٢٠٧٨، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٢/ ٧٩٦ ، ٧٩٧.

قال الصنعاني: قال الله – تعالى –: (شتمني ابن آدم) المراد الجنس الصادق بالبعض أي سبني، (وما ينبغي له أن يشتمني) أي لا يجوز له ذلك، (أما شتمه إياي فقوله: إن لي ولدًا) لاستلزامه الإمكان المستدعي للحدوث، وذلك غاية الشتم في حق الله – تعالى –؛ لأن الشتم توصيف الشيء بما هو نقص، وازدراء وإثبات الولد لله – تعالى – غاية في الذم؛ لأنه يستلزم صفات نقص عدة، من إتيان الصاحبة، وإتيان الشهوة الداعية إلى النكاح، والله – تعالى – منزه عن كل نقص؛ ولأن الولد لا يتخذه إلا من يفتقر إلى الأعوان، ولأن كل مَن في السماوات والأرض عبيده، ونسبة الولد إليه تشريك، وجعل نظيرًا له وجزاءً منه، وقد أشار – تعالى – في قوله: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}(١) إلى أن اتخاذ الولد ينافي الألوهية، كما أفاد ذلك قوله: (وأنا الله الأحد) لا شريك له في صفاته، ولا ملكه ولا ذاته.(٢).

السؤال الثاني: لماذا نُهي ابن آدم عن سبه – تعالى – بهذه الصورة؟

لقد نُهي ابن آدم عن سبه – تعالى – بهذه الصورة، لأسباب من أهمها:

الأول: أن من سب الله – تعالى – بهذه الصورة، فقد قال على الله – عز وجل – الباطل، قال الله – تعالى –: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}.(٣).

قال أبو جعفر الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله: "يا أهل الكتاب"، يا أهل الإنجيل من النصارى "لا تغلوا في دينكم"، يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا

---

١) سورة مريم: ٩٠ – ٩٣.

٢) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٧/ ٥٨٣، وفتح الباري لابن حجر ج٦/٢٩١.

٣) سورة النساء، الآية: ١٧١.

فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإن قولكم في عيسى إنه ابن الله، قول منكم على الله غير الحق؛ لأن الله لم يتخذ ولدًا، فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابنًا"، ولا تقولوا على الله إلا الحق".(١).

وقال ابن كثير: "وقوله: {ولا تقولوا على الله إلا الحق} أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا قال: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل – عليه السلام –، إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه – عز وجل –، فكان عيسى بإذن الله – عز وجل –، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله – عز وجل –؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان، والروح التي أرسل بها جبريل".(٢).

الثاني: أن من سب الله – تعالى – بهذه الصورة فقد كذَّب القرآن، حيث نص القرآن على أن الله – تعالى – ليس له ولد، ولذلك كذَّب الله – عز وجل – من نسب الولد إليه، فقال – تعالى –: {بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(٣)، وقال – تعالى –: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}(٤).

---

١) تفسير الطبري ج٩/٤١٥ ، ٤١٦.

٢) تفسير ابن كثير ج٢/٤٧٨.

٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٠ ، ٩١.

٤) سورة الإخلاص، الآية: ٣.

قال ابن عطية: "المعنى ليس الأمر كما يقولون من نسبتهم إلى الله – تعالى – ما لا يليق به {بَلْ أَتَيْناهُمْ}، وقرأ ابن أبي إسحاق «بل آتيناك» على الخطاب لمحمد – صلى الله عليه وسلم –، {ولَكاذِبُونَ} يراد فيما ذكروا الله – تعالى – به من الصاحبة والولد والشريك".(١).

وقال السمعاني: "وقوله: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} أي: ليس له والد ولا ولد، وقيل: إنه نفي لقول اليهود والنصارى: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، ونفي لقول المشركين: إن الملائكة بنات الله، فهذا كله في قوله: {لَمْ يَلِدْ}، وقوله: {وَلَمْ يُولَدْ} فيه نفي لقول النصارى: إن مريم – عليها السلام – ولدت إلهًا، وهو المسيح".(٢).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "قال الله – تعالى –: سبني ابن آدم، ولم يكن ينبغي له أن يسبني، وكذبني ولم يكن ينبغي له أن يكذبني، فأما تكذيبه إياي، فقال {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ} قال: قلت: {بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا}(٣)، وأما سبه إياي، فقال: {إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ}(٤)، وقلت: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}.(٥).

الثالث: أن مَن سب الله – تعالى – وشتمه بهذه الصورة، فقد آذى الله – تعالى –، وقد توعد الله – تعالى – من آذاه، فقال – سبحانه –: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}.(٦).

قال ابن جُزي: "{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} إذاية الله هي بالإشراك به، ونسبة الصاحبة والولد به، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء، ولا ينفعه شيء، وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله،

---

١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤/ ١٥٤.
٢) تفسير القرآن للسمعاني ج٦/ ٣٠٤.
٣) سورة النحل، الآية: ٣٨.
٤) سورة المائدة، الآية: ٧٣.
٥) رواه ابن جرير، تفسير الطبرى، ج١٧/ ٢٠٤.
٦) سورة الأحزاب، الآية : ٥٧.

والأوّل أرجح؛ لأنه ورد في الحديث يقول الله – تعالى –: «يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدًا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني».(١).

وقال الزمخشري: "وقيل في أذى الله: هو قول اليهود والنصارى والمشركين: يد الله مغلولة، وثالث ثلاثة، والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه، وقيل: قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته، وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما حكى عن ربه «شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني، وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني، فأما شتمه إياى فقوله: إني اتخذت ولدًا. وأما أذاه فقوله: إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني».(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): وقد جاء عن قتادة، في قوله – تعالى –: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} قال: بلغني أن الله – تبارك وتعالى – قال: شتمني عبدي ولم يكن له أن يشتمني، وكذبني عبدي ولم يكن له أن يكذبني، فأما شتمه فقوله: «إني اتخذت ولدًا وأنا الأحد الصمد، وأما تكذيبه لي، فزعم أني لن أبعثه يعني بعد الموت».(٣).

الرابع: أن من سب الله – تعالى – بهذه الصورة فقد أشرك وكفر، حيث يقول الله – تعالى –: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}(٤)، وقوله – تعالى –: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً}.(٥).

---

١) لم أقف على هذه الرواية بهذه الصيغة. ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ج١٥٨/٢.

٢) تفسير الزمخشري ج٣/ ٥٥٩.

٣) تفسير عبدالرزاق ج٣/ ٥١.

٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠ ، ٣١.

٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

قال النعماني: وقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}، ثم قال بعد ذلك: {سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} وهذا تصريح بأن اليهودي، والنصراني مشرك، والآية الثانية دلت على أن ما سوى الشرك، فقد يغفره الله – تعالى – في الجملة، فلو كان كفر اليهودي والنصراني ليس بشرك، لوجب أن يغفره الله – تعالى – في الجملة، وذلك باطل، فعلمنا أن كفرهما شرك.(١).

وقال القرطبي: وظاهر قول النصارى إن المسيح ابن الله، إنما أرادوا بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة، وهذا أشنع الكفر.(٢).

وقال الجزائري: "ذكر في هذه الآيات الثلاث ما هو مقرر لكفرهم، ومؤكد له فقال {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} ونسبة الولد إلى الله تعالى كفر بجلاله وكماله {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} ونسبه الولد إليه تعالى كفر به – عز وجل – وبما له من جلال وكمال، وقوله تعالى: {ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} أي ليس له من الواقع شيء إذ ليس لله – تعالى – ولد، وكيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة، وإنما ذلك قولهم بأفواههم فقط {يُضَاهِئُونَ} أي يشابهون به {قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} وهم اليهود الأولون وغيرهم، وقوله – تعالى – {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} دعاء عليهم باللعن والطرد من رحمة الله تعالى، وقوله {أَنَّى يُؤْفَكُونَ} أي كيف يصرفون عن الحق، ويبعدون عنه بهذه الصورة العجيبة".(٣).

الخامس: أن من سب الله – تعالى – بهذه الصورة، ومات على ذلك فهو من أصحاب النار، فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –: أن أناسًا في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوءً ليس فيها سحاب»، قالوا: لا، قال «وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوءً ليس

---

١) اللباب في علوم الكتاب ج٤/٥٢.

٢) تفسير القرطبي ج٨/ ١١٧.

٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر جابر الجزائري ج٢/ ٣٦٠.

فيها سحاب؟»: قالوا: لا، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب، إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر، وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر، أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئًا، مرتين أو ثلاثًا ".(١).

قال القسطلاني: "(فيدعى اليهود فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم) في كونه ابن الله، ويلزم منه نفي عبادة ابن الله (ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟) أي تطلبون (فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا فيشار) أي إليهم (ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب) بالسين المهملة هو الذي تراه نصف النهار في الأرض القفر، والقنع المستوي في الحر الشديد لامعًا، مثل الماء يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا (يحطم) بكسر الطاء المهملة أي يكسر (بعضها بعضًا) لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها (فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله،

---

١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة} [النساء: ٤٠]، ج٦/٤٤، برقم ٤٥٨١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ج١/١٦٧، برقم ١٨٣.

فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول".(١).

السادس: أن من سب الله – تعالى – بهذه الصورة، فإبليس أفضل منه من هذه الناحية، فمن تتبع القرآن والسنة، لم يجد أن إبليس تجرأ على سب رب العالمين بهذه الصورة، بل الوارد فيهما تعظيمه لله – ﷻ –، فقد قال الله – تعالى – حاكيًا عنه: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}(٢).

قال القرطبي:" كأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه؛ لما فيه من التسليط على العباد، فأقسم به إعظامًا لقدره عنده".(٣).

١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ج٧/ ٨٢.

٢) سورة ص، الآية: ٨٢.

٣) تفسير القرطبي ج٧/ ١٧٤.

المبحث الثاني

التحذير والنهي عن سب النبي - صلى الله عليه وسلم -

قال الله – تعالى –: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا راعِنا وَقُولُوا انْظُرْنا وَاسْمَعُوا وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ}.(١).

وعن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى».(٢).

وفي رواية عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أبيه، قال: " كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم –، فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ» فَخَرَجَ فِي قَافِلَةٍ يُرِيدُ الشَّامَ فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – قَالُوا لَهُ: كَلَّا، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ فَجَاءَ الْأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ فَذَهَبَ بِهِ".(٣).

الشرح:

هذا هو النهي الثاني من التحذيرات والنواهي الربانية والنبوية عن السِّبَاب، وهذا النهي يتناول النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولا يشك أحد أن سب النبي – صلى الله عليه وسلم – كبيرة من الكبائر، بل هو كفر، ولكن لماذا نهينا عن سب النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ وما عقوبة من سبه – صلى الله عليه وسلم –؟

---

١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

٢) أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين،ج٣/١٣٠/ برقم ٤٦١٦، وصححه المناوي، التيسير شرح الجامع الصغير ج٢/٤٢٢.

٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، ج٢/٥٨٨، برقم ٣٩٨٤، وحسنه الحافظ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٤/٣٩.

السؤال الأول: لماذا نهينا عن سب النبي – صلى الله عليه وسلم –؟

نُهِينا عن سب النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لأسباب من أهمها:–

الأول: أن سب النبي – صلى الله عليه وسلم – سب لله – تعالى – وسب الله – تعالى – كفر، والدليل على ذلك من وجهين:

أولهما: قال الله – تعالى –: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(١).

قال أبو السعود: "وإيراده – صلى الله عليه وسلم – بعنوان الرسالة مضافًا إلى الاسم الجليل، لغاية التعظيم، والتنبيه على أن أذيته راجعة إلى جنابه – عزّ وجلّ – موجبة لكمال السخط والغضب".(٢).

وقال محمد رشيد رضا: "الآية وما في معناها دليل على أن إيذاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – كفر إذا كان فيما يتعلق بصفة الرسالة؛ فإن إيذاءه في رسالته، ينافي صدق الإيمان بطبيعته".(٣).

ثانيهما: عن عبد الله الجدلي قال: حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيكِ يا أمتاه، قالت: يسب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ناديكم؟ قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب، قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سب عليا فقد سبني، ومن سبني، فقد سب الله تعالى».(٤).

---

١) سورة التوبة، الآية: ٦١.

٢) محاسن التأويل = تفسير القاسمي ج٥/ ٤٤٥.

٣) تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار ج١٠/٤٤٩.

٤) أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين،ج٣/١٣٠/ برقم ٤٦١٦، وصححه المناوي، التيسير شرح الجامع الصغير ج٢/٤٢٢.

قال الصنعاني: "قوله: (ومن سبني فقد سب الله) لأنه رسوله الذي أوجب تعظيمه وتكريمه وحبه، فسابه راد على الله ما أوجبه، وظاهره وجوب قتل من سب عليًا؛ لأنه ساب للنبي ولله – تعالى – ومن سب النبي قُتِل، ومن سب الله قُتِل".(١).

قال ابن سحنون: "أجمع العلماء على أن شاتمه، والمنتقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله – تعالى –، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه؛ كفر".(٢).

الثاني: أن سب النبي– صلى الله عليه وسلم – أذية له، ومن آذاه؛ أصابته لعنة الله – تعالى –، وناله العذاب الذي توعد به الله – عز وجل –، قال – تعالى – : {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}.(٣).

قال القرطبي: "وأما أذية رسوله – صلى الله عليه وسلم – فهي كل ما يؤذيه من الأقوال في غير معنى واحد، ومن الأفعال – أيضًا –".(٤).

وفي رواية عن الحسين بن علي قال سمعت جدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: لا تسبوا أبا بكر وعمر فإنهما سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، ولا تسبوا الحسن والحسين فإنهما سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، ولا تسبوا عليًا، فإن من سب عليًا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله، عَذَّبه الله".(٥).

---

١) التنويرشرح الجامع الصغير ج٢٥٣/١٠.

٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ج٥٤١/٣١.

٣) سورة الأحزاب، الآية : ٥٧.

٤) تفسير القرطبي ج٢٣٨/١٤.

٥) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٣١/١٤، ورواه الترمذي بغير ذكر موضع الشاهد وقال : حديث حسن، سنن الترمذي، أبواب المناقب، ج٦١٠/٥، برقم ٣٦٦٤، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٧١/١.

الثالث: أن من سب النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد تشبه باليهود في سبهم له – صلى الله عليه وسلم –، ومن تشبه بقوم، فهو منهم، وقد نهانا الله – تعالى – عن التشبه بهم في سبهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال – تعالى –: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا راعِنا وَقُولُوا انْظُرْنا وَاسْمَعُوا وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ}.(١).

قال البغوي: " قوله – تعالى –: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا راعِنا}، وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة، أي: أرعنا سمعك، أي: فرغ سمعك لكل منا، يقال: أرعى إلى الشيء وأرعاه، أي: أصغى إليه واستمعه، وكانت هذه اللفظة سبًا قبيحًا بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة، كانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانًا، قالوا له: راعنا، يعني: يا أحمق، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين، قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمدًا سرًا فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، ففطن لها وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحد منكم يقولها للرسول – صلى الله عليه وسلم – لأضربن عنقه، فقالوا: أو لستم تقولونها، فأنزل الله – تعالى –: {لَا تَقُولُوا راعِنا}؛ لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلًا إلى شتم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وقولوا انظرنا، أي: انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأن بنا".(٢).

السؤال الثاني: ما عقوبة من سبه – صلى الله عليه وسلم –؟

ساب النبي – صلى الله عليه وسلم – كما سبق بيانه مرتد عن الإسلام؛ ولذلك كانت عقوبته القتل، قال القاضي عياض: "ولا نعلم خلافًا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة، وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره".(٣).

---

١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

٢) تفسير البغوي ج١/١٥٢.

٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج٢/٤٧٥.

والدليل على ذلك ما يلي:

أ – قال الله – تعالى –: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(١).

قال السعدي: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ} بالقول أو الفعل {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه.(٢).

ب – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي – صلى الله عليه وسلم – وتقع فيه، فينهاها، فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة، جعلت تقع في النبي – صلى الله عليه وسلم – وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجمع الناس فقال: «أنشد الله رجلًا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام»، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك، وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها، فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة، جعلت تشتمك، وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ألا اشهدوا أن دمها هدر».(٣).

قال الشوكاني: "وفي حديث ابن عباس، دليل على أنه يقتل من شتم النبي – صلى الله عليه وسلم –، وقد نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سب النبي – صلى الله عليه وسلم – صريحًا؛ وجب قتله".(٤).

---

١) سورة التوبة، الآية: ٦١.

٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان صـ ٣٤١.

٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، ج١٢٩/٤، برقم ٤٣٦١، وصححه الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج٩٢/٥.

٤) نيل الأوطار للشوكاني ج٢٢٤/٧. بتصرف قليل.

ج – عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله»، قال محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: فأتاه، فقال: إن هذا – يعني النبي – صلى الله عليه وسلم – قد عنانا(١) وسألنا الصدقة، قال: وأيضًا، والله لتملنه(٢)، قال: فإنا قد اتبعناه فنكره أن ندعه، حتى ننظر إلى ما يصير أمره، قال: فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله".(٣).

قال البرماوي: "(لكعب) خبر (من)، أي: من يقتله؟، وهو القرظي المسمى بطاغوت اليهود، وكان يهجو النبي – صلى الله عليه وسلم – ويؤذيه".(٤).

د – عن أبي برزة، قال: كنت عند أبي بكر – رضي الله عنه –، فتغيظ على رجل، فاشتد عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أضرب عنقه؟ قال: فأذهبت كلمتي غضبه، فقام فدخل، فأرسل إليّ، فقال: ما الذي قلت سابقًا؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلًا، لو أمرتك؟ قلت: نعم، قال: «لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد – صلى الله عليه وسلم –».(٥).

قال أبو داود: "هذا لفظ يزيد، قال أحمد بن حنبل: أي لم يكن لأبي بكر أن يقتل رجلًا إلا بإحدى الثلاث التي قالها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس، وكان للنبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقتل».(٦).

---

١) قد عنانا: هذا من التعريض الجائز بل المستحب؛ لأن معناه في الباطن أنه أدبنا بآداب الشرع التي فيها تعب، لكنه تعب في مرضات الله – تعالى – فهو محبوب لنا، والذي فهم المخاطب منه العناء الذي ليس بمحبوب. شرح النووي على مسلم ج١٦١/١٢.

٢) قوله: " لتملنه "، من الملال وهو السآمة. فتح الباري لابن حجر ج١٩٠/١.

٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكذب في الحرب، ج٦٤/٤، برقم ٣٠٣١، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود، ج١٤٢٥/٢، برقم ١٨٠١.

٤) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ج٩/ ٧١.

٥) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، ج١٢٩/٤، برقم ٤٣٦٣، وصححه الألباني، صحيح وضعيف سنن النسائي ج١٤٣/٩ – ١٤٩.

٦) المرجع السابق.

وقال السهارنفوري: "(قال: لا، والله) أي لا يجوز والله (ما كانت لبشر بعد محمدٍ عليه السلام)، يعني لو أمر – صلّى الله عليه وسلم – في التغيظِ وسَبِّ الآخر له بالقتل، لجاز قتله، وأمّا غيره – صلّى الله عليه وسلم – من خلفائه وأمرائه إذا سَبَّهم أحد أو تغيظوا على أحد، وأمروا بقتله لا يجوز قتله؛ لأن تغيظه – صلّى الله عليه وسلم – لم يكن إلَّا حقًّا، وأمّا تغيظنا فحق وباطل.(١).

هـ – عن حصين بن عبد الرحمن، أن ابن عمر – رضي الله عنهما – مر براهب، فقيل: إن هذا سب النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: «لو سمعته لضربت عنقه، إنا لم نعطهم العهد على أن يسبوا نبينا – صلى الله عليه وسلم».(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): ولكن يشكل على ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ترك قتل من قدح في عدله بقوله: " يا محمد، اعدل"(٣)، ونحو ذلك.

قال ابن القيم: "وأما تركه – صلى الله عليه وسلم – قتل من قدح في عدله بقوله: "اعدل فإنك لم تعدل"(٤)، وفي حكمه بقوله: "أن كان ابن عمتك" (٥)، وفي قصده بقوله: "إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله"(٦)، أو في خلوته بقوله: "يقولون إنك

---

١) بذل المجهود في حل سنن أبي داود ج١٢/ ٤٢٨.

٢) رواه الحارث، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، كتاب الحدود والديات، باب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، ج٢/٥٦١، برقم ٥١٠.

٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم، صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه، ج٩/١٧، برقم ٦٩٣٣، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج٢/٧٤٠، برقم١٠٦٣.

٤) رواه ابن الجارود، المنتقى من السنن المسندة، كتاب الطلاق، باب ما جاء في تعجيل قسم الغنائم بقرب العدو، صـ ٢٧٢، برقم ١٠٨٣.

٥) متفق عليه، واللفظ لمسلم، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، ج٣/١١١، برقم ٢٣٥٩، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، ج٤/١٨٢٩، برقم ٢٣٥٧.

٦) متفق عليه، واللفظ لمسلم، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ج٤/١٥٧، برقم ٣٤٠٥، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ج٢/٧٣٩، برقم ١٠٦٢.

تُنهي عن الغي وتستخلي به"(١)، وغير ذلك، فذلك أن الحق له، فله أن يستوفيه، وله أن يتركه، وليس لأمته ترك استيفاء حقه – صلى الله عليه وسلم –، وأيضًا فإن هذا كان في أول الأمر، حيث كان – صلى الله عليه وسلم – مأمورًا بالعفو والصفح، وأيضًا فإنه كان يعفو عن حقه؛ لمصلحة التأليف وجمع الكلمة، ولئلا ينفر الناس عنه، ولئلا يتحدثوا أنه يقتل أصحابه، وكل هذا يختص بحياته – صلى الله عليه وسلم".(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): ولكن ينبغي أن يقيد قتله – في هذا الزمان – بمباشرة الحاكم له، ولا يقوم به غيره إلا بإذنه.

١) رواه أحمد، المسند، مسند البصريين، حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، ج٣٣/٢٢١، ٢٢٢، برقم ٢٠٠١٧، وحسنه المحقق.

٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ج٥/٥٦.

المبحث الثالث

التحذير والنهي عن سب الصحابة – رضوان الله عليهم -

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».(١).

الشرح:

في هذا الحديث المبارك، ينهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن سب صنف معين من المسلمين، ألا وهم صحابته الكرام – رضوان الله عليهم – لأنهم أفضل الخلق بعد سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم –، ولما نهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سب صحابته – رضوان الله عليهم – كان لزامًا علينا أن نعرف مَن الصحابي الذي نُهِي عن سبه؟ ولماذا نُهِي المسلم عن سب الصحابة؟ وما حكم من سبهم؟ وما عقوبته؟

أربعة أسئلة سأحاول الإجابة عنها، فأقول وبالله التوفيق:

السؤال الأول: مَن الصحابي الذي نُهِي عن سبه؟

من خلال النظر في حديث النهي، نجد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يعيّن صحابيًا بعينه، ولم يذكر صحابيًا باسمه، وإنما نهى عن سب كل أصحابه – رضوان الله عليهم –، فمن صدق عليه اسم الصحابي، فلا يجوز لمسلم أن يسبه أبدًا، ولذلك قال القسطلاني: "(لا تسبوا أصحابي) شامل لمن لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأوّلون، فسبهم حرام من عرمات(٢)

---

١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، ج٤/ ١٩٦٧، برقم ٢٥٤٠.

٢) العُرْمَات: جمع عُرْمَة وهي كَوْمَة من القمح المدروس. معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢/ ١٤٩٠.

الفواحش"(١)، وقال الصنعاني في رواية أخرى للحديث "من سب أصحابي"(٢): ظاهر في كل من صحبه، ولو سب صحابي صحابيًا، كان داخلًا في الوعيد".(٣).

وحتى يتثنى للمسلم أن يجتنب هذا النهي؛ يجب عليه أن يعرف من الصحابي، وللعلماء في تعريف الصحابي أقول شتى نجملها فيما يلي:

أحدها: وهو المعروف المشهور بين أهل الحديث أنه من رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – في حال إسلامه، هكذا أطلقه كثير من أهل الحديث، ومرادهم بذلك مع زوال المانع من الرؤية، كالعمى، وإلا فمن صحبه – صلى الله عليه وسلم – ولم يره لعارض بنظره كابن أم مكتوم ونحوه؛ معدود في الصحابة بلا خلاف، قال أحمد بن حنبل: "من صحبه سنة، أو شهرًا، أو يومًا، أو ساعةً، أو رآه؛ فهو من الصحابة".

والثاني: أنه من طالت صحبته له، وكثرت مجالسته على طريق التبع له، والأخذ عنه.

والثالث: وهو ما روي عن سعيد بن المسيب: أنه كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين.

والرابع: أنه يشترط مع طول الصحبة الأخذ عنه، حكاه الآمدي عن عمرو بن يحيى.

والخامس: أنه من رآه مسلمًا بالغًا عاقلًا، حكاه الواقدي عن أهل العلم.

---

١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني ج٦/ ٩٤.

٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج١٢/١٤٢، برقم ١٢٧٠٩، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته ج٢/١٠٧٧.

٣) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج١٠/٢٥٢.

والسادس: أنه من أدرك زمنه – صلى الله عليه وسلم –، وهو مسلم، وإن لم يره.(١).

وقد أجملهم العراقي فقال:

رائي النبي مسلم ذو صحبة ... وقيل: إن طـالت ولم يثبت
وقيل من أقام عامًا أو غزا ... معه وذا لابن المسيب عزا

من خلال العرض السابق، يتبين لنا أن القول الذي تطمئن إليه النفوس هو قول أهل الحديث؛ لأنهم أهل الصنعة في ذلك، فكل من رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – حال إسلامه، – ومات على ذلك – فهو معدود في الصحابة؛ ومن الذين نهينا عن سبه، ولذلك قال النووي: "الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – ولو ساعة، فهو من أصحابه".(٢).

وهذا الحديث وإن كان عامًا، يشمل كل الصحابة – رضوان الله عليهم – إلا أنه قد وردت بعض الروايات – وإن كان في بعضها ضعف – تخص بعض الصحابة، وهذا إن دل، فإنما يدل على مزيد فضل هؤلاء المعنيين بهذه الأحاديث، ورفعة مكانتهم، وسوف أذكرهم تباعًا فأقول:

أ – أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما –، فعن الحسين بن علي قال: سمعت جدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول لا تسبوا أبا بكر وعمر، فإنهما سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، ولا تسبوا الحسن والحسين فإنهما سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، ولا تسبوا عليًا، فإن مَن سب عليًا، فقد سبني، ومن سبني، فقد سب الله، ومن سب الله، عذبه".(٣).

---

١) شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي ج١١٩/٢ وما بعدها.
٢) شرح النووي على مسلم ج١٦/ ٨٥.
٣) سبق تخريجه.

قال ابن الملك: "سيدا كهول أهل الجنة، المراد به الكهولة قبل دخولها، وإلا فلا كهل فيها، وقيل: أراد به الحليم العاقل، فإن أهلها يكونون حلماء عقلاء".(١).

ب – خالد بن الوليد – رضي الله عنه – فعن قيس قال: أخبرت، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تسبوا خالدًا، فإنه سيف من سيوف الله سله الله على الكفار».(٢).

ج – علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وقد وردت روايات تخصه، إلا أن كثيرًا منها لم يثبت، ومن الثابت في النهي عن سبه، والذي يدل على شدة محبة النبي– صلى الله عليه وسلم – له ما رواه أحمد عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أم سلمة، فقالت لي: أيسب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيكم؟ قلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "من سب عليا، فقد سبني"(٣)، وفي رواية «من سب عليًا، فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى».(٤).

قال الدهلوي: "قوله: (من سب عليًّا، فقد سبني) وذلك لِما أنه يلزم من سبِّه سبُّه، ومن طعنه في نسبه الطعنُ في نسبه؛ للقرابة القريبة بينهما، ما لم يكن بين أحد من أصحابه".(٥).

---

١) شرح المصابيح لابن الملك ج/٦.٤٢٢

٧١) رواه أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج١٣/١٤٣، برقم ٧١٨٨، وقال الهيثمي : رواه الطبراني، وأبو يعلى بنحوه، ورجالهما رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩/٣٤٩.

٣) رواه أحمد، المسند، مسند النساء، ج٤٤/٣٢٩، برقم ٢٦٧٤٨، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي، وهو ثقة. مجمع الزوائد ج٩/١٣٠.

٤) رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ج٣/١٣٠، برقم ٤٦١٦، وضعفه الألباني، الجامع الصغير وزياداته، برقم ١٢٣٩٣. وأمّارواية إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا عليًا؛ فإنه ممسوس في ذات الله» فقد رواها الطبراني، المعجم الأوسط، برقم ٩٣٦١، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سفيان بن بشر أو بشير متأخر ليس هو الذي روى عن أبي عبد الرحمن الحبلي ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا وفي بعضهم ضعف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩/١٣٠.

٥) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ج٩/٦٦٣.

د – عمار بن ياسر – رضي الله عنه – فعن الأشتر قال: سمعت خالدًا يقول: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسب عمارًا، فإنه من يسب عمارًا، يسبه الله، ومن يبغض عمارًا، يبغضه الله، ومن سَفَّه عمارًا، يُسَفِّهه الله».(١).

هـ – العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس أي أهل الأرض أكرم على الله؟» قال: قلنا: أنت، قال: «فإن العباس مني، وأنا منه، لا تؤذوا العباس فتؤذوني» وقال: «من سب العباس، فقد سبني».(٢).

قال الدهلوي: "قوله: (العباس مني وأنا منه) رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصل باعتبار الشرف والفضل والنبوة، وعباس أصل من جهة النسب والعمومة، فافهم".(٣).

و – حسان بن ثابت – رضي الله عنه – فعن عروة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تسبوا حسانًا، فإنه ينافح عن الله وعن رسوله".(٤).

ولأجل كل هذه النواهي – العامة والخاصة – عن سب الصحابة – رضوان الله عليهم –؛ اجتنب السلف الصالح سب الصحابة، أو أحدٍ منهم، وحذروا من ذلك أشد التحذير، ومما يدل على ذلك ما يلي:

أ – عن ابن عمر قال: "لا تسبوا عثمان، فإنا كنا نعده من خيارنا".(٥).

---

١) رواه النسائي والحاكم وصححه، السنن الكبرى، كتاب المناقب، ج٣٥٨/٧، برقم ٨٢١٤ ، والمستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج٤٣٩/٣، برقم ٥٦٧٠.

٢) رواه أحمد، فضائل الصحابة، فضائل أبي الفضل العباس بن عبد المطلب عم رسول – صلى الله عليه وسلم – ج٩٣٣/٢، برقم ١٧٨٩.

٣) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ج٧١١/٩.

٤) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، برقم ٣٠٠٧، وقال البوصيري: رواه مسدد مرسلا ورواته ثقات.إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ج٢٦٨/٧.

٥) رواه أحمد، فضائل الصحابة، فضائل عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ج٤٦١/١، برقم ٧٤٤.

ب – عن أم كلثوم بنت ثمامة، أنها قدمت حاجة، فإن أخاها المخارق بن ثمامة قال: ادخلي على عائشة، وسليها عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه عندنا، قالت: فدخلت عليها فقلت: بعض بنيك يقرئك السلام، ويسألك عن عثمان بن عفان، قالت: وعليه السلام ورحمة الله، قالت: أما أنا فأشهد على أني رأيت عثمان في هذا البيت في ليلة قائظة، ونبي الله – صلى الله عليه وسلم – وجبريل يوحي إليه، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يضرب كفًا – أو كتفًا – ابن عفان بيده: «اكتب، عثم»، فما كان الله ينزل تلك المنزلة من نبيه – صلى الله عليه وسلم – إلا رجلًا عليه كريمًا، فمن سب ابن عفان فعليه لعنة الله.(١).

ج – عن سعيد بن جبير قال: "ذكر حسان عند عائشة – رضي الله عنها – فتناولوه فقالت: "لا تسبوا حسانًا، فقالوا: يا أم المؤمنين، أوليس من الذين قال الله – تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٢)؟ قالت: «أوليس من العذاب الأليم ذهاب بصره؟».(٣).

د – عن نسير بن ذعلوق قال: سمعت ابن عمر يقول: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة».(٤).

هـ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله – عز وجل – قد أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون».(٥).

وعن محمد بن كريب مولى بن عباس، عن أبيه عن جده، عن ابن عباس أنه قال: «يا غلام، إياك وسب أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – فإن سبهم مفقرة،

---

١) رواه البخاري، الأدب المفرد، باب من دعا صاحبه فيختصر وينقص من اسمه شيئا، صـ ٢٨٨، برقم ٨٢٨، وضعفه الألباني، ضعيف الأدب المفرد صـ ٧٩.

٢) سورة النور، الآية : ١٩.

٣)رواه ابن أبي شيبة، تاريخ المدينة، ج١/٣٤٩.

٤) رواه أحمد، فضائل الصحابة، ج١/٦٠، برقم ٢٠.

٥) رواه احمد، فضائل الصحابة، ج١/٥٩، برقم ١٨.

وإياك والنظر في النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة، والتكذيب بالقدر فإنه يدعو إلى الزندقة».(١).

ز – عن عمر بن بزيع قال: «سمعني علي بن عبد الله بن عباس وأنا أريد أن أسب معاوية – رحمه الله –، فقال: مهلًا، لا تسبه، فإنه صِهْر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –».(٢).

ح – عن حبيب بن حسان، قَال: سَمِعْتُ سعيد بن جبير يقول: سمعت ابن عباس يقول «لا تسبوا حسان بن ثابت؛ فإنه كان ينصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بلسانه ويده».(٣).

ط – عن ميمون بن مهران قال: «ثلاث ارفضوهن: سب أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم –، والنظر في النجوم، والنظر في القدر».(٤).

السؤال الثاني: لماذا نُهِي المسلم عن سب الصحابة – رضوان الله عليهم؟

نهي المسلم عن سب الصحابة الكرام؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أن المرء مهما فعل من الطاعات، وأنفق من الزكوات والصدقات، فلن يبلغ مكانة أحد منهم، بل أقسم النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق" وفي رواية "كل يوم"(٥) مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه».(٦).

---

١) رواه ابن حبان، كتاب الثقات، ج٣/٨، برقم ١٢٠٢٠.

٢) رواه الآجري، الشريعة، كتاب فضائل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، باب ذكر مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية بأخته أم حبيبة رحمه الله، ج٥/ ٢٤٤٨، برقم ١٩٣١.

٣) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠١/١٢.

٤) رواه أحمد، فضائل الصحابة، ج٦٠/١، برقم ١٩.

٥) رواه عبد بن حميد، المنتخب من مسند عبد بن حميد، مسند أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – ج٩٢/٢، برقم ٩١٦، وصححه المحقق.

٦) سبق تخريجه.

قال النووي: "ومعناه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا، ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مدًا، ولا نصف مد، قال القاضي: ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عن الجمهور، من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة، وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته – صلى الله عليه وسلم – وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وطاعتهم الأخرى، وقد قال الله – تعالى –: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(١)، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة، والتودد والخشوع، والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة، ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".(٢).

وعن نسير بن ذعلوق قال: كان ابن عمر – رضي الله عنهما – يقول: "لا تسبوا أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم –، فلمقام أحدهم ساعة، خير من عمل أحدكم عمره".(٣).

قال السندي: "فلمقام أحدهم" قيامه في الجهاد في طاعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – بأي وجه كان، أو وجوده عنده".(٤).

الثاني: أن الصحابة – رضوان الله عليهم – أفضل الخلق بعد سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – من أمته، والفاضل يُكَرَّم لا يهان، فعن عبد الله – رضي الله عنه –، أن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: خير الناس قرني، ثم الذين

---

١) سورة الحديد، الآية : ١٠.

٢) شرح مسلم للنووي ج١٦/٩٣.

٣) رواه ابن ماجه، السنن، باب في فضائل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ج١/١١٢، برقم ١٦٢، وصححه البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ج١/٢٤.

٤) حاشية السندي عى سنن ابن ماجة ج١/٧٠.

يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته "، قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.(١).

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث دليل على أن خير الناس الذين صحبوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورأوه ثم التابعون لهم بإحسان، كما قال – عز وجل –: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(٢)، وقوله: {ثم الذين يلونهم} تنبيه على من يأتي إلى يوم القيامة، فإن كل متقدم خير ممن يليه".(٣).

وقال السيوطي: "القرن: أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، والأصح: أنَّه يضبط بمدة، فقرنه – صلى الله عليه وسلم – هم الصحابة، وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة، وقرن التابعين من سنة مائة إلى قرابة سبعين، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى حدود العشرين ومائتين".(٤).

وعن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا، فهو عند الله سيئ".(٥).

---

١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ج٣/٥، برقم ٣٦٥١، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة – رضوان الله عليهم – باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ج١٩٦٣/٤، برقم ٢٥٣٣.

٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

٣) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ج٤٩/٢.

٤) التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي ج/ ٢٣١٦.

٥) رواه أحمد، المسند، مسند عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – ج٨٤/٦، برقم ٣٦٠٠، وصححه المحقق أحمد شاكر.

الثالث: أن الصحابة – رضوان الله عليهم – أمنة(١) لهذه الأمة، فعن أبي بردة، عن أبيه، قال: صلينا المغرب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «ما زلتم هاهنا»؟ قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال «أحسنتم أو أصبتم» قال فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم، أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت، أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي، أتى أمتي ما يوعدون».(٢).

قال أبو العباس القرطبي: "(قوله: وأصحابي أمنة لأمتي) يعني: أن أصحابه ما داموا موجودين كان الدِّين قائمًا، والحق ظاهرًا، والنصر على الأعداء حاصلًا، ولما ذهب أصحابه، غلبت الأهواء، وأديلت الأعداء، ولا يزال أمر الدِّين متناقصًا، وجده ناكصًا إلى ألا يبقى على ظهر الأرض أحد يقول: الله، الله، وهو الذي وعدت به أمته".(٣).

الرابع: أن وجودهم – رضوان الله عليهم – في الأمة خير، وفقدهم بلية، فعن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تزالون بخير، ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير، ما دام فيكم من رأى من رآني، وصاحب مَن صاحبني».(٤).

---

١) أمنة: قال الزبيدي: رجل آمن ورجال أمنة، ككاتب وكتبة؛ ومنه الحديث: (وأصحابي أمنة لأمتي) ، وقيل: جمع أمين وهو الحافظ؛ وجمعه أمناه أيضا. تاج العروس من جواهر القاموس ج٣٤/ ١٩٣.

٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، ج٤/١٩٦١، برقم ٢٥٣١.

٣) المفهم لما أشكل من حديث مسلم ج٦/ ٤٨٥.

٤) رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الفضائل، ما ذكر في الكف عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ج٦/٤٠٥، برقم ٣٢٤١٧، وقال الألباني: وهذا إسناد جيد، رجاله رجال الصحيح. سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٧/٨٤٣.

الخامس: أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كملح الطعام لا يصلح الناس بدونهم، فعن سمرة بن جندب، قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول لنا: «يوشك أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام، لا يصلح الطعام إلا بالملح»(١) قال الحسن: فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح؟(٢).

وفي رواية عن عكرمة، قال سمعت ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليه ملحفة متعطفا بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء(٣)، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فإن الناس يكثرون، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرًا يضر فيه أحدًا، أو ينفعه، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم».(٤).

قال الهروي: "«لا يصلح الطعام إلا بالملح» استئناف مُبَيِّن لوجه الشبه، ولا يلزم من التشبيه أن يكون من جميع الوجوه، حتى يقال كثرة الملح تُفسِد الطعام، كما قيل في حق النحو: إنه في الكلام كالملح في الطعام، بل المراد منه أن الطعام دونه ليس له كمال المرام".(٥).

وقال العيني: "قوله: (حتى يكونوا كالملح في الطعام) يعني من القلة، ووجه التشبيه بين الأنصار والملح هو أن الملح جزء يسير من الطعام وفيه إصلاحه،

---

١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، باب السين، ج٧/٢٦٨، برقم ٧٠٩٨، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني، وإسناد الطبراني حسن.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١٠/ ١٨. وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني، ج٤/ ٢٤٥.

٢) أخرجه الآجري، كتاب الشريعة، كتاب الإيمان، باب ذكر فضل جميع الصحابة – رضي الله عنهم، ج٤/١٦٨٢، برقم ١١٥٧.

٣) الدسماء: السوداء. التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ج٢٠/ ٤٠٢.

٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»، ج٥/٣٥، برقم ٣٨٠٠.

٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي ج٩/٣٨٨١.

فكذلك الأنصار وأولادهم من بعدهم، جزء يسير بالنسبة إلى المهاجرين وأولادهم، الذين انتشروا في البلاد وملكوا الأقاليم".(١).

السؤال الثالث: ما حكم من سب الصحابة – رضوان الله عليهم –؟

لَمَّا نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سبهم، وجب علينا أن نجتنب هذا النهي، فمن لم يجتنب النهي، فحكمه في ديننا شديد، حيث إنه يدور بين الفسق والكفر.

قال ملا علي القاري: "وأما من سبّ أحدًا من الصحابة، فهو فاسق، ومبتدع بالإجماع، إلّا إذا اعتقد أنه مباح، كما عليه بعض الشيعة وأصحابهم، أو يترتب عليه ثواب، كما هو دأب كلامهم، أو اعتقد كفر الصحابة، وأهل السنة؛ فإنه كافر بالإجماع".(٢).

وقال سعد الدين التفتازاني: "إن سبهم والطعن فيهم إن كان مما يخالف الأدلة القطعية؛ فكفر، كقذف عائشة – رضي الله عنها –، وإلا فبدعة وفسق".(٣).

السؤال الرابع: ما عقوبة مَن سب الصحابة – رضوان الله عليهم –؟

يترتب على هذا النهي، أن من سبهم، فهو مُعاقَب بأشياء عدة منها:

أولًا: أن من سبهم، فقد استحق اللعن، من قبل الله – تعالى – أولًا، ثم من الملائكة ثانيًا، ثم من الناس ثالثًا، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من سب أصحابي، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين».(٤).

---

١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٦/٢٦٦.

٢) ينظر : الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم» ج٢/١٧١٤، وبحر المذهب للروياني ج٢/٢٦٣، وكشاف القناع عن متن الاقناع ج٦/١٧٢، وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني ج٦/٩٤.

٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٦/٩٤.

٤) سبق تخريجه.

قال الصنعاني: "(فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين) أي يلحقه كل لعن صادر عن هؤلاء؛ لأنه سب من أمر الله بالدعاء لهم وسؤال المغفرة {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}(١)، وأثنى الله عليهم في عدة آيات من كتابه، فسابهم مضاد لأمر الله".(٢).

ثانيًا: أن من سبهم؛ لا يقبل الله منه طاعة – فرضًا ولا تطوعًا –، فعن عويم بن ساعدة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله – تبارك وتعالى – اختارني واختار بي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يُقبَل منه يوم القيامة صرف ولا عدل»(٣)، وفي رواية عن أنس بن مالك قال: قال أناس من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: يا رسول الله، أنا نسب، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من سب أصحابي، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا».(٤).

ثالثًا: أن سبهم ينافي حفظهم، ومن لم يحفظهم؛ فلا ينال حفظ النبي – صلى الله عليه وسلم – له يوم القيامة، فعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من حفظني في أصحابي كنت له يوم القيامة حافظًا، ومن سب أصحابي، فعليه لعنة الله».(٥).

رابعًا: أن من سبهم، ابتلاه الله – تعالى –، فعن عامر بن سعد قال: "قدم سعد من أرض له، والناس عكوف أو مجتمعون على رجل، وإذا هو يسب عليًا،

---

١) سورة الحشر، الآية : ١٠

٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٢٥٢/١٠.

٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة – رضوان الله عليهم – ج٧٣٢/٣، برقم ٦٦٥٦، وضعفه الألباني، ضعيف الجامع الصغير صـ٢٢١.

٤) رواه أحمد، فضائل الصحابة، ج٥٢/١، برقم ٨.

٥) رواه أحمد، فضائل الصحابة، ج٥٤/١، برقم ١٠.

وعثمان، وطلحة، والزبير، فنهاه فكأنه أغراه بهم، فقال: ما تريد إلى سب أقوام خير منك، لتنتهين أو لأدعون عليك، فقال: إنه ليخوفني كأنه نبي، فدعا بماء فتوضأ، ثم صلى ركعتين، وقال: اللهم إن كان يسب أقوامًا سبق لهم منك خير، أسخطك بسبه إياهم، فأرني به الغداة آية تجعله آية للعالمين قال: فخرج بختية من دار ابن فلان نادة لا يرد بأسها شيء، فتفرق الناس عنه، فجعلته بين قوائمها، فوطئته حتى طفئ، وأنا رأيت الناس يتبعونه يقولون: استجاب الله لك أبا إسحاق".(١).

وعن قرة، قال: "سمعت أبا رجاء يقول: لا تسبوا عليًا، ولا أهل هذا البيت، إن جارًا لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال: ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق؟ إن الله قتله، – يعني الحسين عليه السلام –، قال: فرماه الله بكوكبين في عينه، فطمس الله بصره".(٢).

بل بلغ من تشديد الصحابة في ذلك، أن همَّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بقطع لسان من سب الصحابة، فعن البهي، عن عمر: أن عبيد الله بن عمر سب المقداد بن الأسود وعمارًا، فقال عمر – رضي الله عنه –: علي نذر إن لم أقطع لسانه، حتى تكون سنة، حتى لا يجترئ أحد أن يسب أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – فكلم فيه، فتركه.(٣).

خامسًا: هل يُقتَل ساب الصحابة – رضوان الله عليهم – كما يقتل ساب النبي – صلى الله عليه وسلم – أم لا؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة، ويأتي خلافهم على مذهبين، ذكرهما غير واحد من أهل العلم.

---

١) أخرجه ابن الأعرابي، معجم ابن الأعرابي، باب الباء، ج٢/٤٨٣، برقم ٩٣٦، والطبراني، المعجم الكبير، ج١/ ١٤٠، برقم ٣٠٧، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩/١٥٤.

٢) رواه أحمد، فضائل الصحابة، ج٢/٥٤٧، برقم ٩٧٢.

٣) رواه ابن كثير وقال: هذا إسناد لا بأس به، مسند الفاروق، كتاب الحج، ج١/٥٥٢، برقم ٣٨٦.

قال القسطلاني: "ومذهب الجمهور أن من سبهم يعزر، ولا يُقتَل، وقال بعض المالكية: يقتل".(١).

قلت (أبو هَنَّاد): والمذهب المختار من المذهبين هو مذهب الجمهور؛ وذلك لما صح عن أبي بكر – رضي الله عنه –، فقد قال أبو برزة: كنت عند أبي بكر – رضي الله عنه –، فتغيظ على رجل، فاشتد عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أضرب عنقه؟ قال: فأذهبت كلمتي غضبه، فقام فدخل، فأرسل إليّ، فقال: ما الذي قلت سابقًا؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلًا، لو أمرتك؟ قلت: نعم، قال: «لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد – صلى الله عليه وسلم –».(٢). والله أعلم.

١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني ج٦/٩٤.

٢) سبق تخريجه.

المبحث الرابع

التحذير والنهي عن سب المسلم

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».(١).

الشرح:

هذا هو النهي الرابع من التحذيرات والنواهي النبوية عن السِّبَاب، وهذا النهي يتعلق بشخص معين ألا وهو المسلم، وكلنا يعرف من هو المسلم، ولكن السؤال الذي ينبغي أن يُطرَح هو: لماذا نهينا عن سب المسلم؟

الناظر في كلام نبينا – صلى الله عليه وسلم – يجد أنه حذر من سب المسلم؛ لأسباب عدة منها:

الأول: أن سب المسلم فسوق، فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «سِبَابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر».(٢).

قال النووي: "الفسق في اللغة الخروج، والمراد به في الشرع: الخروج عن الطاعة، وأما معنى الحديث فسب المسلم بغير حق، حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم –".(٣).

---

١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ج١٥/٨، برقم ٦٠٤٤، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ج٨١/١، برقم ٦٤.

٢) سبق تخريجه.

٣) شرح النووي على مسلم ج٥٣/٢، ٥٤.

وقال الصنعاني: "وفي مفهوم قوله "المسلم" دليل على جواز سب الكافر، فإن كان معاهدًا، فهو أذية له، وقد نهى عن أذيته، فلا يعمل بالمفهوم في حقه، وإن كان حربيًا، جاز سبه، إذ لا حرمة له".(١).

الثاني: أن سب المسلم من أمور الجاهلية، وقد أعزنا الله – تعالى – بالإسلام، فعن المعرور بن سويد، قال: مررنا بأبي ذر بالربذة(٢) وعليه برد وعلى غلامه مثله، فقلنا: يا أبا ذر، لو جمعت بينهما، كانت حلة، فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فلقيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»، قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم، فأعينوهم».(٣).

قال ابن بطال: "قال – عليه السلام – لأبي ذر لما سب الرجل الذي أمه أعجمية: (إنك امرؤ فيك جاهلية)، وهذا غاية في ذم السب وتقبيحه؛ لأن أمور الجاهلية حرام منسوخة بالإسلام، فوجب على كل مسلم هجرانها واجتنباها".(٤).

وقال ابن حجر: "ويؤخذ منه المبالغة في ذم السب واللعن؛ لما فيه من احتقار المسلم، وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه، إذا لم يكن من أهل

---

١) سبل السلام للصنعاني ج٦٦٣/٢.

٢) الربذة بفتحات: مكان معروف بين مكة والمدينة. فتح الباري لابن حجر ج١٢١/١.

٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج١٦/٨، برقم ٦٠٥٠ ،وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه ج١٢٨٢/٣، برقم ١٦٦١.

٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٢٤١/٩.

التقوى، وينتفع الوضيع النسب بالتقوى كما قال – تعالى –: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.(١).

الثالث: أن سب المسلم – رجلًا كان أو امرأة – من المهلكات، ويدل على ذلك حديثان:

أولهما: عن عبد الله بن عمرو، يرفعه، قال: «سِبَابُ المؤمن كالمشرف على الهلكة».(٢).

قال المناوي: "(ساب المؤمن كالمشرف على الهلكة) أي يكاد يقع في الهلاك الأخروي، وأراد في ذلك المؤمن المعصوم، والقصد به التحذير من السب".(٣).

وقال الصنعاني: "(ساب المؤمن) عام في المؤمن وغيره؛ لأنه قد نهى عن سب موتى الكفار، لئلا يؤذوا به الأحياء، ويحتمل اختصاصه بالمؤمن (كالمشرف على الهلكة) شبهه به؛ لأنه ما قد وقع فيها، لأنه من حاله التوبة فينجو ولا يقع فيها".(٤).

ثانيهما: عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».(٥).

---

١) سورة الحجرات، الآية : ١٣ ، ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج١٠/ ٤٦٨.

٢) رواه البزار، كشف الأستار عن زوائد البزار، ج٤٣٢/٢، برقم ٢٠٣٦، وقال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٧٣/٨، وحسنه الألباني، الجامع الصغير وزياداته صـ ٥٨٩٩.

٣) فيض القدير للمناوي ج٧٩/٤.

٤) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٣٥١/٦، ٣٥٢.

٥) متفق عليه، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا} [النساء: ١٠]، ج١٠/٤، برقم ٢٧٦٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج٩٢/١، برقم ٨٩.

قال ابن حجر: "قوله "اجتنبوا السبع الموبقات" بموحدة وقاف أي المهلكات، قال المهلب سميت بذلك؛ لأنها سبب لإهلاك مرتكبها، قلت والمراد بالموبقة هنا الكبيرة ".(١).

وقال الطيبي: "قوله: (قذف المحصنات): القذف الرمي البعيد، استعير للشتم والعيب والبهتان، كما استعير الرمي، و(المحصنات) جمع محصنة – بفتح الصاد – مفعولة، أي التي أحصنها الله – تعالى – وحفظها من الزنا، و – بكسرها – اسم فاعلة، أي التي حفظت فرجها من الزنا، و (الغافلات) كناية عن البريئات؛ لأن البريء غالف عما بهت به من الزنا".(٢).

الرابع: أن سب المسلم كقتله، فعن ثابت بن الضحاك، وكان من أصحاب الشجرة، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «من حلف على ملة غير الإسلام، فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا، عُذِّب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمنًا، فهو كقتله، ومن قذف مؤمنًا بكفر، فهو كقتله».(٣).

قال القسطلاني: "(ومن لعن مؤمنًا، فهو كقتله) في التحريم أو في العقاب أو في الإبعاد؛ لأن اللعن تبعيد من رحمة الله، والقتل تبعيد من الحياة، والضمير للمصدر الذي دل عليه الفعل أي: فلعنه كقتله، (ومن قذف مؤمنًا) رماه (بكفر فهو كقتله)؛ لأن النسبة إلى الكفر الموجب للقتل، كالقتل في أن المتسبب للشيء كفاعله".(٤).

---

١) فتح الباري لابن حجر ج١٢/ ١٨٢.

٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٢/٥٠٦.

٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٨/١٥، برقم ٦٠٤٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ج١/١٠٤، برقم ١١٠.

٤) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ج٩/ ٣٨. بتصرف قليل.

الخامس: أن الله – عز وجل – شدد على حرمة سب المسلمات العفيفات، ورتب على سبهن عقوبات عديدة، والرجال داخلون في ذلك – أيضًا – بالإجماع، **منها:** قوله – تعالى –: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.(١).

قال الطبري: "يقول – تعالى ذكره –: والذين يَشْتمون العفائف من حرائر المسلمين، فيرمونهنّ بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رمَوْهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهنّ أنهنّ رأوهن يفعلن ذلك، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله، وخرجوا من طاعته، ففسقوا عنها. وذُكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة، زوج النبيّ – صلى الله عليه وسلم – بما رموها به من الإفك".(٢).

وقال القرطبي: "قوله تعالى: "والذين يرمون" يريد يسبون، واستعير له اسم الرمي؛ لأنه أذاؤه بالقول، كما قال النابغة: وجرح اللسان كجرح اليد.

وقال آخر:

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن أجل الطوي رماني

ويسمى قذفا، ومنه الحديث: "إن ابن أمية قذف امرأته بشريك بن السحماء، أي رماها".(٣).

الثالثة: ذكر الله – تعالى – في الآية النساء من حيث هن أهم، ورميهن بالفاحشة أشنع وأنكى للنفوس، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى، وإجماع الأمة على ذلك".(٤).

---

١) سورة النور، الآية: ٤.

٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج١٩/١٠٢.

٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل، ج٢/١١٣٤، برقم ١٤٩٦.

٤) تفسير القرطبي ج١٢/ ١٧٢.

ومنها: قوله – تعالى – {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.(١).

قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عامّ في كلّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها.

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب؛ لأن الله عمَّ بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ) كلّ محصنة غافلة مؤمنة، رماها رام بالفاحشة، من غير أن يخصَّ بذلك بعضًا دون بعض، فكلّ رام محصنة بالصفة التي ذكر الله – جلّ ثناؤه – في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته، فإن الله دلّ باستثنائه بقوله: (إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) على أن ذلك حكم رامي كل محصنة، بأيّة صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية، وعلى أن قوله: (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) معناه: لهم ذلك، إن هلكوا ولم يتوبوا".(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): بل إنه قد ورد حديث – فيه ضعف –، بأن قذف المحصنات محبط للعمل، فعن حذيفة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة».(٣).

السادس: أن الذي يرد على السابّ إذا لم يجب المسبوب، ملك من الملائكة، وهذا أردع للساب من رد المسبوب نفسه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي – صلى الله عليه وسلم – جالس "وفي رواية" أن رجلًا كان

---

١) سورة النور، الآية: ٢٣.

٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج١٩/١٤٠.

٣) رواه الطبراني، المعجم الكبير، باب الحاء، ج٣/١٦٨، برقم ٣٠٢٣، وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف، وقد يحسن حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ج٦/٢٧٩.

يسب أبا بكر عند النبي – صلى الله عليه وسلم –"(١)، فجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – يعجب ويتبسم، فلما أكثر، رد عليه بعض قوله، فغضب النبي – صلى الله عليه وسلم – وقام، فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله، غضبت وقمت، قال: "إنه كان معك ملك يرد عنك، وفي رواية "نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك"(٢)، فلما رددت عليه بعض قوله، وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان" ثم قال: "يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله – عز وجل – إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية، يريد بها صلة، إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة، يريد بها كثرة، إلا زاده الله – عز وجل – بها قلة".(٣).

قال الهروي: "(وقال: يا رسول الله! كان) أي: الرجل (يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله) أي: من الشتم بعينه أو بما يناسبه (غضبت وقمت): يعني فما الحكمة في ذلك؟ (قال: كان معك ملك يرد عليه) أي: ويدلك على الصبر (فلما رددت عليه) أي: بذاتك ودخل فيه حظ النفس (وقع الشيطان) أي: وطلع الملك، والشيطان إنما يأمر بالفحشاء والمنكر، فخفت عليك أن تتعدى على خصمك، وترجع ظالمًا بعد أن كنت مظلومًا".(٤).

وقال ابن رسلان: "(نزل ملك) بفتح اللام (من السماء) غير الحفظة (يكذبه بما قال لك) وانتصر الله لك من فوق سبع سموات حين لم تنتصر لنفسك".(٥).

---

١) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب الميم، ج١٨٩/٧، برقم ٧٢٣٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني في الأوسط بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١٩٠/٨.

٢) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب في الانتصار، ج٢٥٧/٧، برقم ٤٨٩٦، وحسنه المحقق شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي.

٣) رواه أحمد، المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه،ج٣٩٠/١٥، برقم ٩٦٢٤، وقال الألباني: إسناده جيد، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢٧١/٥.

٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي ج٨/ ٣١٨٥. بتصرف قليل.

٥) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ج١٨/ ٦٣٩.

المبحث الخامس

التحذير والنهي عن سب الأعراض

عن سعيد بن زيد – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: «أَرْبَى الرِّبَا شَتْمُ الْأَعْرَاضِ».(١).

وعن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، يرويه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:" إِنَّ أَرْبَى الرِّبَا شَتْمُ الْأَعْرَاضِ، وَأَشَدَّ الشَّتْمِ الْهِجَاءُ، وَالرَّاوِيَةُ أَحَدُ الشَّاتِمَيْنِ".(٢).

الشرح:

هذا هو النهي الخامس من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بالأعراض، فما المراد بالأعراض؟ ولماذا نهينا عن سبها؟ وما عقوبة من يسبها؟

السؤال الأول: ما المراد بالأعراض؟

الأعراض جمع عرض، والعرض: موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه أو في سلفه، أو من يلزمه أمره.

ومنه حديث عمر للحطيئة «فاندفعت تغني بأعراض المسلمين»(٣) أي تغني بذمهم وذم أسلافهم في شعرك.

---

١) رواه الهيثم بن كليب الشاشي، المسند، مسند سعيد بن زيد رضي الله عنه، ج١/٢٦٠، برقم ٢٣٠، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات. سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣/٤١٨.

٢) رواه البيهقي، وقال: مرسل، السنن الكبرى، كتاب الشهادات، جماع أبواب من تجوز شهادته ، ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين، باب: الشاعر يكثر الوقيعة في الناس على الغضب والحرمان، ج١٠/٤٠٨، برقم ٢١١٢٨.

٣) رواه الخرائطي، مساوئ الأخلاق، باب ما يكره من سب الناس وتناول أعراضهم، ج١/٣٧، برقم ٤٦.

وقيل: هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه، ويحامي عنه أن ينتقص ويثلب.

وقال ابن قتيبة: عرض الرجل: نفسه وبدنه لا غير.

ومنه الحديث « فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه» أي احتاط لنفسه، لا يجوز فيه معنى الآباء والأسلاف.(١).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب الأعراض؟

لقد نهينا عن سب الأعراض؛ لأسباب منها:

الأول: أن سب الأعراض أربى الربا إثمًا، فعن سعيد بن زيد، أن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال: «أَرْبَى الرِّبَا شَتْمُ الْأَعْرَاضِ».(٢).

قال المناوي:" (أربا الربا) أي أزيده إثما (شتم الأعراض) بالفتح جمع عرض بالكسر: أي سبها".(٣).

وعن ابن أبي نجيح، عن أبيه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «أربى الربا تفضيل المرء على أخيه بالشتم».(٤).

قال المناوي:" (أربى الربا تفضيل المرء) أي زيادته (على أخيه) دينا وإن لم يكن نسبا (بالشتم) أي السب والذم أدخل العرض في جنس المال مبالغة وجعل الربا نوعين متعارفا وغير متعارف وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه بأكثر مما يستحقه ثم فضل أحدهما على الآخر وناهيك به بلاغة".(٥).

---

١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٣/٢٠٨ ، ٢٠٩، ومعجم لغة الفقهاء ج١/٣٠٩.

٢) سبق تخريجه .

٣) فيض القدير للمناوي ج١/٤٦١.

٤) رواه ابن أبي الدنيا، كتاب الصمت، باب الغيبة وذمها، ج١/١٢٣، برقم ١٧٤.

٥) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ج١/١٣٦.

وعن سعيد بن زيد، عن النبيِّ – صلى الله عليه وسلم –، قال: "إنَّ من أربى الرِّبا الاستطالةَ في عرضِ المُسلم بغيرِ حق".(١).

قال الطيبي: قوله: (من أربى الربا) هو من باب قوله: {يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم} أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة، وجعل الربا نوعين: متعارفين: وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون. وغير متعارف: هو استطالة الرجل باللسان في عرض صاحبه، ثم فضل أحد النوعين على الآخر. ولما بين العرض والمال من المناسبة قال الحماسي:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

والاستطالة في عرض المسلم، أن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له، أو أكثر مما رخص له فيه؛ ولذلك مثله بالربا، وعده من عداده، ثم فضله على سائر أفراده؛ لأنه أكثر مضرة وأشد فساداً؛ فإن العرض شرعا وعقلا أعز على النفس من المال وأعظم منه خطراً؛ ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال.(٢).

وعن عبد الله، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ».(٣).

قال الصنعاني:" (الربا) بالموحدة أي إثم الربا قاله الطيبي يوافق قوله: (ثلاثة وسبعون باباً أيسرهما مثل أن ينكح الرجل أمه) قال الطيبي: إنما كان الربا أشد من الزنا لأنه مخالفة لله محضة؛ لأنه تعبدي إلى تحريمه بخلاف الزنا ففيه زواجر عقلية وزواجر أخرى غير الشرع فآكل الربا يهتك حرمة الله والزاني يخلع جلباب الحياء

---

١) رواه أبوداود، السنن، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج٢٣٨/٧، برقم ٤٨٧٦، وصححه محققاه.

٢) شرح المشكاة للطيبي ج٣٢١٧/١٠ ، ٣٢١٨.

٣) رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، حديث أبي هريرة، ج٤٣/٢، برقم ٢٢٥٩.

فريحه يهب حينا ثم يسكن ولوائه يخفق مرة ثم يقر. (وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم) أي الاستطالة فيه وذلك أن يسبه سبة فيسبه سبتين كما ثبت في غيره".(١).

الثاني: أن سب الأعراض من كبائر الذنوب، فعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–: "إن مِنَ الكبائر استطالةَ المرءِ، في عِرْضِ رجلٍ مسلمٍ بغيرِ حقٍّ، ومن الكبائر السَّبِّتانِ بالسَّبَّةِ" .(٢).

قال العباد: أورد أبو داود حديث أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (إن من أكبر الكبائر استطالة الرجل المسلم في عرض أخيه بغير حق)، وهذا مثل الذي قبله الذي قال فيه: (إن من أربى الربا)، وهنا قال: (من أكبر الكبائر)، وكل هذا يدل على خطورتها، والربا هو من أكبر الكبائر، وإذا كان هذا من أربى الربا فمعناه أنه من أشده وأقبحه، وأنه متناه في القبح والخبث.

وقوله: (ومن الكبائر السبتان بالسبة) أي: كون الإنسان عندما يعاقب يزيد في العقوبة، فإذا سب بسبة واحدة يأتي بسبتين، فيأتي بالكلمة التي قالها وزيادة، أو يأتي بسبتين بدل الواحدة، وعلى الإنسان إذا عاقب أن يعاقب بمثل ما عوقب به ولا يزيد، وإن ترك العقوبة فهو خير له، وهو أولى؛ لقوله عز وجل: {وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين}(٣) أما أن يزيد في العقوبة، ويزيد في السب، فإن هذا غير سائغ.(٤).

الثالث: أن سب الأعراض مهلك صاحبه، ومما يدل على ذلك أحاديث منها:

أ – عن أسامة بن شريك، قال: كنا عند النبي – صلى الله عليه وسلم –، كأن على رءوسنا الرخم، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه ناس من الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أفتنا في كذا، أفتنا في كذا، فقال: «أيها الناس، إن الله قد وضع عنكم

---

١) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٦/٢٩٠ ، ٢٩١.

٢) رواه أبوداود، السنن، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج٧/٢٣٩، برقم ٤٨٧٧، وصححه محققاه لغيره.

٣) سورة النحل، الآية:١٢٦.

٤) شرح سنن أبي داود للعباد ١٠/٥٥٥.

الحرج، إلا امرأ اقترض من عرض أخيه فذاك الذي حرج وهلك» قالوا: أفنتداوى يا رسول الله؟، قال: «نعم، فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، غير داء واحد»، قالوا: وما هو يا رسول الله؟، قال: «الهرم»، قالوا: فأي الناس أحب إلى الله، يا رسول الله؟، قال: أحب الناس إلى الله أحسنهم خلقا».(١).

قال السندي: قوله: (وضع الله الحرج) أي: الإثم، أي: عما سألتموه من الأشياء، وكأنهم ما سألوا إلا عن المباحات، وقوله: إلا من اقترض أي: إلا من اغتاب أخاه، أو سبه، أو آذاه في نفسه عبر عنها بالاقتراض؛ لأنه يسترد منه في العقبى، ويحتمل أن يكون اقترض بمعنى قطع، وقال السيوطي: أي نال منه، وقطعه بالغيبة.(٢).

وقال الهروي:" (فذلك الذي): أي: الرجل الموصوف (حرج) : بكسر الراء، أي: وقع منه حرج (وهلك) : أي: بالإثم".(٣).

ب – عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».(٤).

قال العيني:" قوله: (وقذف المحصنات)، أي: السابع: قذف المحصنات، القذف الرمي البعيد، استعير للشتم والعيب والبهتان كما استعير للرمي، والمحصنات جمع محصنة، بفتح الصاد، اسم مفعول أي: التي أحصنها الله تعالى وحفظها من الزنا، وبكسرها، اسم فاعل أي: التي حفظت فرجها من الزنا. قوله: (المؤمنات)،

---

١) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من حسن خلقه في الدنيا كان من أحب الناس إلى الله تعالى، ج٢/٢٣٦، برقم ٤٨٦، وصححه الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ج١/٤٧٠.

٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ج٢/٣٣٩. بتصرف .

٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٥/١٨٣٤.

٤) سبق تخريجه .

احترز به عن قذف الكافرات فإن قذفهن ليس من الكبائر وإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر لا يوجب الحد وفي قذفه الأمة المسلمة التعزير دون الحد. قوله: (الغافلات) ، كناية عن البريئات لأن البرىء غافل عما بهت به من الزنا".(١).

السؤال الثالث: ما عقوبة من يسب الأعراض؟

لقد عاقب الله – تعالى – من يسب الأعراض بأشياء منها:

الأول: أن الله – تعالى – يبتليهم بتقطيع وجوههم وصدورهم حتى تصير مشوهة قبيحة، فعن أنسِ بنِ مالك، قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلُون لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضِهِم".(٢).

قال الدهلوي:" فالذين هتكوا عرض المسلمين جعل الله – تعالى – وجوههم وصدورهم مشوهًا قبيحًا على أيديهم جزاء بالمثل ".(٣).

وقال الطيبي:" قوله: ((يخمشون)) أي يخدشون، ولما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات، جعلهما جزاء من يغتاب ويفري من أغراض المسلمين؛ إشعاراً بأنهما ليسا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأشوه صورة".(٤).

وقال العباد:" قوله: (لهم أظفار من نحاس) أي: أن فيها قوة تؤثر ما لا تؤثره الأظفار العادية؛ لأنها من نحاس صلبة قوية، وقوله: (يخمشون بها وجوههم) أي: يخمشونها ويقطعونها، وقوله: (فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذي يأكلون

---

١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٤/٦٢.

٢) رواه أبوداود، السنن، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج٧/٢٤٠، برقم ٤٨٧٨، وصححه محققاه.

٣) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح للدهلوي ج٨/٣٠٠.

٤) شرح المشكاة للطيبي ج١٠/٣٢١٨.

لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) أي: أن الجزاء من جنس العمل، فلما كان بغيبته وبكلامه على الناس مثل الذي يأكل لحومهم، صارت عقوبته بأن يمزق جلده ولحمه بنفسه بتلك الأظفار، كما أكل لحوم الناس بولوغه في أعراضهم، فإنه هو نفسه بتلك الأظفار من النحاس يمزق لحمه ويقطع جلده بفعله، والجزاء من جنس العمل، فكما أكل لحوم الناس فإنه يأكل لحمه بتلك الأظفار".(١).

الثاني: أن الله – تعالى – توعد من سب الأعراض بالعذاب، فعن المستورد، أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسي ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة".(٢).

قال الهروي:" (من أكل برجل مسلم) أي: بسبب غيبته أو قذفه أو وقوعه في عرضه أو بتعرضه له بالأذية عند من يعاديه (أكلة) بضم أي لقمة وفي نسخة بالفتح أي مرة من الأكل (فإن الله تعالى يطعمه مثلها) أي: قليلا أو كثيرا (من جهنم) أي: من نارها أو من عذابها ".(٣).

وقال السندي:" من أكل" على بناء الفاعل برجل، بسبب اغتياب به والوقيعة فيه بأن سبه واغتابه عند عدوه؛ لينال منه ذلك السب والاغتياب، إلى أكلة "آكلة بالضم أي لقمة أو بالفتح أي مرة من الأكل سواء كان المأكول قليلًا أو كثيرًا ".(٤).

الثالث: أن سب الأعراض من أسباب الإفلاس في الآخرة، فعن أبي هريرة، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وفي رواية" قد شتم عرض هذا"، وقذف هذا،

---

١) شرح سنن أبي داود للعباد ١٢/٥٥٥.

٢) رواه أبوداود، السنن، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج٢٤٢/٧، برقم ٤٨٨١، وقال محققاه: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي ج٣١٥٨/٨ ، ٣١٥٩.

٤) فتح الودود في شرح سنن أبي داود للسندي ج٥٦٧/٤.

وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»".(١).

قال النووي:" (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا إلى آخره) معناه أن هذا حقيقة المفلس وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه ".(٢).

وقال الهروي:" (فقال: إن المفلس) أي: الحقيقي أو المفلس في الآخرة (من أمتي) أي: كل: أمة الإجابة ولو كان غنيا في الدنيا بالدرهم والمتاع (من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة) أي: مقبولات والباء للتعدية أي: مصحوبا بها (ويأتي) أي: ويحضر أيضا حال كونه (قد شتم هذا) أي: وقع له شتم لأحد".(٣).

وقال الهرري:" (إن المفلس منْ أمتي) منْ (يأتي) على الله (يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي) والحال أنه (قد شتم) وسبَّ (هذا) بما لا يوجب الحد (وقذف هذا) بما يوجب الحد".(٤).

---

١) رواه مسلم، وأحمد، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج١٩٩٧/٤، برقم ٢٥٨١، ومسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج١٣:٣٩٩، برقم ٨٠٢٩، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢) شرح النووي على مسلم ج١٣٥/١٦ ، ١٣٦.

٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٣٢٠٢/٨.

٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ج٣٥٣/٢٤.

المبحث السادس

تحذير الصائم ونهيه عن السب

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" لَا تُسَابَّ وَأَنْتَ صَائِمٌ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاجْلِسْ".(١).

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول إله – صلى الله عليه وسلم – يقول:"إِنْ شُتِمَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ" يَنْهَى بِذلِكَ عَنْ مُرَاجَعَةِ الصَّائِمَ.(٢).

الشرح:

هذا هو النهي السادس من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بالصائم، فلماذا نُهي الصائم عن السب؟ وما الذي أمر به إن سبه أحد؟

السؤال الأول: لماذا نهي الصائم عن السب؟

لقد نهي الصائم عن السب لأسباب منها:

الأول: أن السب من الصائم أقبح وأشنع، فعن عائشة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الصيام جنة من النار فمن أصبح صائمًا فلا يجهل يومئذ، وإن جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه، وليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».(٣).

---

١) رواه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الصيام، باب الأمر بالجلوس إذا شتم الصائم وهو قائم، لتسكين الغضب على المشتوم فلا ينتصر بالجواب، ج٣/٢٤١، برقم ١٩٩٤، وصححه المحقق الأعظمي.

٢) رواه ابن حبان، موارد الظمان، كتاب الصيام، باب في الصائم يجهل عليه، ج٣/٢٠٢، برقم ٨٩٨، وقال المحقق الداراني: رجاله ثقات.

٣) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الصيام، ما يقول الصائم إذا جهل عليه، ج٣/٣٥١، برقم ٣٢٤٥، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٢/ ٧٢٠.

قال الصنعاني:" (الصيام جنة من النار فمن أصبح صائمًا فلا يجهل يومئذ) أظهر التجاهل ومعناه لم يعرف حقه بل أنزل به ما يكرهه من شتم وغيره، ومنه بيت المعلقة:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والجهل منهي عنه مطلقاً وهو من الصائم أقبح. (وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه) مكافأة له على جهله مع أنه تعالى قد أباح له ذلك بقوله: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ}.(١).

الثاني: أن الصيام جنة للصائم ما لم يأت بما لا يجوز، فعن عياض بن غطيف، قال: دخلنا على أبي عبيدة بن الجراح نعوده من شكوى أصابه، وامرأته تحيفة قاعدة عند رأسه، قلنا: كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: والله لقد بات بأجر، فقال أبو عبيدة: ما بت بأجر – وكان مقبلا بوجهه على الحائط – فأقبل على القوم بوجهه، فقال: ألا تسألونني عما قلت؟ قالوا: ما أعجبنا ما قلت، فنسألك عنه. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله، فبسبع مائة، ومن أنفق على نفسه وأهله، أو عاد مريضا، أو ماز أذى، فالحسنة بعشر أمثالها، والصوم جنة ما لم يخرقها، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة".(٢).

قال ابن رجب الحنبلي:" وقوله: ما لم يخرقها يعني: بالكلام السيئ ونحوه، ولهذا في حديث أبي هريرة المخرج في " الصحيحين " عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يفسق، ولا يجهل، فإن امرؤ سابه فليقل: إني امرؤ صائم».(٣).

---

١) سورة النساء، الآية: ١٤٨. ينظر : التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٩٢/٧.

٢) رواه أحمد، المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث أبي عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله رضي الله عنه ، ج٢٢٠/٣، برقم ١٦٩٠، وقال محققوه: إسناده حسن.

٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ج١٣٨/٢ ، ١٣٩.

وقال ابن دقيق العيد:"جنة ما لم يخرقها"؛ التقدير: جنة مانعة من النار، ما لم تخرق الجنة بارتكاب ما يمنع منه الصوم، فلا تكون جنة حينئذ بانخراقها ".(١).

الثالث: أن الصيام الحقيقي ليس صيامًا عن الأكل والشرب، وسائر المفطرات المباحة، وإنما هو الامتناع عن المحرمات، ومن جملتها السب والشتم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل: إني صائم، إني صائم ".(٢).

ولذلك بوب ابن خزيمة في صحيحه لهذا الحديث بابًا بعنوان: باب النهي عن اللغو في الصيام، والدليل على أن الإمساك عن اللغو والرفث من تمام الصوم .

قال المناوي:" (ليس الصيام) في الحقيقة (من الأكل والشرب) وجميع المفطرات (إنما الصيام) المعتبر الكامل الفاضل (من اللغو) قول الباطل واختلاط الكلام (والرفث) الفحش في المنطق والتصريح بما يكنى عنه من ذكر النكاح حول المعنى فيه من الظاهر إلى الباطن على وزان ما سبق".(٣).

وقال الصنعاني:" (ليس الصيام) الذي أمر الله به (من الأكل والشرب) كما هو المعروف عند غالب الناس (إنما الصيام) الحقيقي (من اللغو) باطل الكلام (والرفث) الفحش من القول فتركهما هو الصيام المكتوب أجره وفاعلهما مع تركه الأكل والشرب غير صائم لاختلال أجره ونقصان ثوابه حتى كأنه غير صائم".(٤).

---

١) شرح الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد ج١٩٧/٣.

٢) رواه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الصيام، باب النهي عن اللغو في الصيام، ج٢٤٢/٣، برقم ١٩٩٦، وصححه محققه الأعظمي.

٣) فيض القدير للمناوي ج٣٥٨/٥.

٤) التنوير شرح الجامع الصغير ج٢٢٨/٩ ، ٢٢٩.

السؤال الثاني: ما الذي أمر به الصائم إن سبه أحد؟

لقد أمر الصائم إن سبه أحد أن يقول قولًا، وأن يفعل فعلًا، وتفصيل ذلك في مسألتين:

المسألة الأولى: ما القول الذي يقوله الصائم إن سبه أحد؟ وهل يقوله مرة أم يكرره؟ وهل يقوله لنفسه أم لمن يسبه؟

وتفصيل هذه المسألة في النقاط التالية:

النقطة الأولى: ما القول الذي يقوله الصائم إن سبه أحد؟

لقد جاء في الأحاديث ما يقوله الصائم لمن سبه، ومن هذه الأقوال التي يقولها ما جاء بإسناد صحيح، ومنها ما جاء بإسناد ضعيف.

فأما ما جاء بإسناد صحيح فقول الصائم لمن سبه " إني صائم ".

فعن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: "لا تساب وأنت صائم، وإن سابك أحد، فقل: إني صائم، وإن كنت قائما فاجلس".(١).

قال السعدي:" أرشد الصائم إذا عرض له أحد يريد مخاصمته، ومشاتمته أن يقول له بلسانه: "إني صائم".(٢).

وأما ما جاء بإسناد ضعيف فقول الصائم لمن سبه " أعوذ بالله منك " .

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" إذا جهل على أحدكم وهو صائم، فليقل: أعوذ بالله منك، إني صائم ".(٣).

---

١) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الصوم، باب آداب الصوم، ذكر الخبر الدال على أن قول الصائم لمن جهل عليه: إني صائم إنما أمر أن يقول بقلبه دون النطق به، ج٨/٢٥٩، برقم ٣٤٨٣، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، وحسنه الألباني. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ج٥/٣٢٥.

٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار للسعدي ج١/٩٥.

٣) رواه ابن السني، عمل اليوم والليلة، باب ما يقول لمن جهل عليه وهو صائم، ج١/٣٨٢، برقم ٤٣٢، وقال الألباني: ضعيف جدا. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج٦/٥٥.

قال المناوي:" (إذا جهل) بالبناء للمفعول أي إذا جهل أحدكم (على أحدكم) أي فعل به فعل الجاهلين من نحو سب وشتم (وهو) أي والحال أنه (صائم) ولو نفلا (فليقل) ندبا باللسان والجنان (أعوذ بالله منك) أي أعتصم به من شرك أيها الشاتم (إني صائم) تذكيرا له بهذه الحالة ليكف عن جهله ولا يرد عليه بمثله ".(١).

النقطة الثانية: هل يقول هذا القول (إني صائم) مرة أم يكرره؟

اختلفت الروايات في ذلك فبعضها ذكر هذا القول مرة واحدة، وبعضها ذكره مرتين، ولذلك قال ابن حجر:" واتفقت الروايات كلها على أنه يقول إني صائم، فمنهم من ذكرها مرتين، ومنهم من اقتصر على واحدة ".(٢).

ودليل قولها مرة واحدة حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول إلله – صلى الله عليه وسلم – يقول:" إن شتم أحدكم وهو صائم فليقل: إني صائم، ينهى بذلك عن مراجعة الصائم.(٣).

ودليل قولها مرتين حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: " الصـــيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين".(٤).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل: إني صائم، إني صائم ".(٥).

---

١) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ج٨٩/١.

٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٠٤/٤، والتحبير لإيضاح معاني التيسير ج١٨٠/٦.

٣) سبق تخريجه .

٤) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ج٢٤/٣، برقم ١٨٩٤.

٥) رواه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الصيام، باب النهي عن اللغو في الصيام، ج٢٤٢/٣، برقم ١٩٩٦، وصححه محققه الأعظمي.

قال ابن حجر:" وأما تكرير قوله: إني " صائم " فليتأكد الانزجار منه، أو ممن يخاطبه بذلك، ونقل الزركشي أن المراد بقوله:" فليقل إني صائم مرتين " يقوله مرة بقلبه، ومرة بلسانه، فيستفيد بقوله بقلبه كف لسانه عن خصمه، وبقوله بلسانه كف خصمه عنه".(١).

النقطة الثالثة: هل يقول هذا القول (إني صائم) لنفسه أم لمن يسبه؟

اختلف العلماء في هذا على أقوال:-

القول الأول: أنه يقول إني صائم بلسانه جهرًا حتى يسمعه الشاتم.(٢).

والدليل على ذلك:

أ – قال الله – تعالى –: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا}.(٣).

قال ابن بطال:" واستدل بعضهم بقول مريم: { إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا}(٤)، فكان حكم الصيام عند مريم وأهل زمانها أن لا يتكلموا فيه، وكان هذا متعارفًا عندهم".(٥).

ب – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول إلله – صلى الله عليه وسلم – يقول:" إن شتم أحدكم وهو صائم فليقل: إني صائم، ينهى بذلك عن مراجعة الصائم.(٦).

---

١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٠٥/٤.

٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج٢٥٨/١٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ج٢٨/٨.

٣) سورة مريم، الآية: ٢٦.

٤) سورة مريم، الآية: ٢٦.

٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٨/٤.

٦) سبق تخريجه .

قال العراقي: ويدل على القول باللسان قوله في آخر الحديث:" ينهى ذلك عن مراجعة الصائم ".(١).

ج – أنه يقول إني صائم بلسانه حتى يعلم من يجهل أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل.(٢).

د – أنه إذا قال إنى صائم، ارتدع الساب له، وعلم أنه إذا اجترأ عليه فى صوم كان أعظم فى الإثم، فليعلم أيضًا أن الصوم يمنع من الرد عليه.(٣).

القول الثاني: أنه يقول إني صائم في قلبه لا بلسانه.(٤).

والدليل على ذلك:

أ – عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" فإن قاتله أحد أو شتمه أحد فلا يكلمه، وليقل: إني صائم".(٥).

ب – أنه يقول إني صائم في قلبه لا بلسانه بل يحدث نفسه بذلك، ويذكرها أنه صائم لا يليق به الجهل والمشاتمة؛ لينزجر بذلك.(٦).

ج – أن الصائم يقول هذا القول في نفسه حتى لا يعلن بقوله إني صائم؛ لما فيه من الرياء واطلاع الناس عليه؛ لأن الصوم من العمل الذي لا يظهر وكذلك يجزئ الله الصائم أجره بغير حساب.(٧).

---

١) طرح التثريب في شرح التقريب ج٤/٩٣. بتصرف .
٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٠/٢٥٨.
٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٤/٢٥ .
٤) طرح التثريب في شرح التقريب ج٤/٩٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٠/٢٥٨.
٥) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب الميم، من اسمه: مقدام، ج٩/٣٠، برقم ٩٠٤٢.
٦) طرح التثريب في شرح التقريب ج٤/٩٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٠/٢٥٨.
٧) الاستذكار لابن عبدالبر ج٣/٣٧٤.

القول الثالث: أن التأويلين السابقين كليهما حسن، والقول باللسان أقوى، ولو جمعهما كان حسنًا.(١).

والدليل على ذلك:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: " الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين".(٢).

قال الزرقاني:" ونقل الزركشي: إن ذكرها في الحديث مرتين إشارة لذلك، فيقولها بقلبه ليكف نفسه، وبلسانه ليكف خصمه".(٣).

القول الرابع: التفرقة بين صيام الفرض والنفل، فيقول ذلك بلسانه في الفرض، ويقوله لنفسه في التطوع.(٤).

قال موسى شاهين لاشين:" فيقول ذلك بلسانه في الفرض، ويقول لنفسه في التطوع بعدًا عن الرياء ".(٥).

المسألة الثانية: ما الفعل الذي يفعله الصائم إن سبه أحد؟

لقد أمر الصائم إن سبه أحد أن يجلس إن كان قائمًا، فعن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: "لا تساب وأنت صائم، وإن سابك أحد، فقل: إني صائم، وإن كنت قائما فاجلس".(٦).

---

١) طرح التثريب في شرح التقريب ج٤/٩٣.
٢) سبق تخريجه .
٣) شرح الزرقاني على الموطأ ج٢/٢٩٢.
٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١٠/٢٥٨.
٥) المنهل الحديث في شرح الحديث ج٢/٢٢٨.
٦) سبق تخريجه .

قال موسى شاهين لاشين:" فإن سابك أحد فقل: إني صائم، وإن كنت قائمًا فاجلس". وفائدة هذا الجلوس تغيير الوضع إلى وضع أقل تهيؤا للمقاتلة، فإن ذلك التغيير يضعف الثورة النفسية، فإذا كان قائما جلس، وإذا كان جالسا اضطجع".(١).

وخلاصة القول:

أن الصائم منهي عن السب – مطلقًا – سواء كان مبتدئًا بالسب أو مجاوبًا؛ ولذلك قال الصنعاني:" وقد ورد في الحديث الآخر «فإن شاتمه أحد أو سابه فليقل: إني صائم» فلا تشتم مبتدئًا ولا مجاوبًا".(٢).

١) المنهل الحديث في شرح الحديث ج٢/٢٢٨.

٢) سبل السلام للصنعاني ج١/٥٦٧.

المبحث السابع

التحذير والنهي عن سب الوالدين

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ».(١).

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، وَمَعَهُ شَيْخٌ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَنْ هَذَا مَعَكُمْ؟» قَالَ: أَبِي قَالَ: «فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ، وَلَا تَسْتَسِبَّ لَهُ».(٢).

الشرح:

هذا هو النهي الخامس من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بسب شخصيتين جبلة الطباع على حبهما، ولا ينكر فضلهما إلا عاق، ألا وهما الوالدان، فمن هما الوالدان؟ ولماذا نهينا عن سبهما؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة الثلاث أقول:

السؤال الأول: من الوالدان؟

قال الحموي: "الوالد الأب، وجمعه بالواو والنون، والوالدة الأم، وجمعها بالألف والتاء، والوالدان: الأب والأم للتغليب".(٣).

---

١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، لا يسب الرجل والديه، ج٣/٨، برقم ٥٩٧٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج٩٢/١، برقم ١٤٦.

٢) رواه الطبراني: المعجم الأوسط، ج٢٦٧/٤، برقم ٤١٥٩، قلت: صح موقوفا عن أبي هريرة، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا بهذا الإسناد، عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وهو لين، وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثق، ومحمد بن عرعرة بن يزيد لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.مجمع الزوائد ج١٣٧/٨.

٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج٢/ ٦٧١.

وقال الحلبي: الوالدان هما: الأب والأم، يقال لكل واحد منهما والد، قال:

ألا رب مولود وليس له أب وذي ولد لم يلده أبوان

وقيل: لا يقال في الأم: والدة بالتاء، وإنما قيل فيها وفي الأب: والدان تغليبًا للمذكر.(١).

السؤال الثاني: لماذا نُهِينا عن سب الوالدين؟

نهينا عن سب الوالدين؛ لأسباب كثيرة ومن أهمها:

الأول: أن سب الوالدين من الكبائر، بل هو من أكبرها، فعن عبد الله بن عمرو، – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه».(٢).

قال بدر الدين العيني: قوله: "(من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه)، ولفظ الترمذي: (من الكبائر أن يشتم الرجل والديه)، وهذا يقتضي أن سب الرجل والديه كبيرة، ورواية البخاري تقتضي أنه من أكبر الكبائر، وبينهما فرق من حيث إن الكبائر متفاوتة، وبعضها أكبر من بعض وهو قول العلماء".(٣).

إشكالان وحلهما:

الإشكال الأول: قال الدكتور موسى شاهين لاشين: "لا خلاف في أن سب الوالدين والتسبب في سبهما من أفراد عقوق الوالدين، ولا خلاف في أن العقوق من الكبائر، ولكن المشكل رواية البخاري التي تصرح بأن من أكبر الكبائر التسبب في

---

١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج١/٤٦٣.

٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، لا يسب الرجل والديه، ج٣/٨، برقم ٥٩٧٣.

٣) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني ج٢٢/٨٣.

شتم الوالدين، فإذا كان التسبب في شتمهما من أكبر الكبائر، فكيف يكون حكم مباشرة شتمهما؟

حل الإشكال:

استطرد الدكتور لاشين قائلًا: "لهذا كانت رواية مسلم أقرب إلى الحكم الصحيح، فالتسبب في شتمهما من الكبائر، ومباشرة شتمهما من أكبر الكبائر، إذ ليس فعل السبب كفعل المسبب على كل حال، وهو لم يقصد شتم أبيه، فلا يأخذ حكم من شتمه قاصدًا، ويمكن توجيه رواية البخاري بأن لفظ "أكبر" نسبي، فما من أكبر الكبائر قد يوجد ما أكبر منه، فالتسبب من أكبر الكبائر، ومباشرة الشتم أكبر منه، وإنما كان شتم الوالدين من أكبر الكبائر؛ لأن شتم الأجنبي كبيرة، وشتم الوالدين أقبح منه؛ فيكون من أكبر الكبائر".(١).

الإشكال الثاني: قوله: (من الكبائر) قيل: وإنما يصير ذلك من الكبائر، إذا كان الشتم مما يوجب حدًا كما إذا شتمه بالزنا والكفر، وقال له: أبوك زان أو كافر أو نحوهما. فقال في جوابه: بل أبوك كافر أو زان، أما إذا شتمه بما دون ذلك بأن قال له: أبوك أحمق أو جاهل أو نحوهما؛ فلا يكون من الكبائر.

حل الإشكال:

قال الطيبي: "أقول: ويمكن أن يقال: إنه من الكبائر مطلقًا؛ لأن سبب السب سب، فكأنه واجه أباه بأن قال له: أنت أحمق أو جاهل، ولا شك أن هذا من الكبائر، وقد قال تعالى: {فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا}(٢)، ونحوه قوله – تعالى –: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}".(٣).

---

١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور موسى شاهين لاشين ج٢٩٨/١.

٢) سورة الإسراء، الآية : ٢٣.

٣) سورة الأنعام، الآية : ١٠٨. ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٣١٥٨/١٠، ٣١٥٩.

الثاني: أن من سب والديه ملعون، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غير تخوم الأرض، ملعون من كمه أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط »(١)، وفي رواية «ولعن الله من سب والديه».(٢).

قال المناوي: "إنما استحق ساب أبويه اللعن؛ لمقابلته نعمة الأبوين بالكفران، وانتهائه إلى غاية العقوق والعصيان، كيف وقد قرن الله برهما بعبادته – وإن كانا كافرين – وبتوحيده وشريعته".(٣).

وقال الصنعاني: "(ملعون من سب أباه) كيف وهو مأمور بألا يقول له (أف)، ومأمور بأن يقول: {رَبِّ ارْحَمْهُمَا}(٤)، وسواء سبه بالمباشرة أو بالتسبيب كما سبق "يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه"، وكذلك قوله: (ملعون من سب أمه)".(٥).

الثالث: أن حق الوالدين التكريم والتقدير والإحسان، لا الإهانة والطغيان، والجحود والنكران، فلا يتناسب السب معهما، ولذلك قال الله – تعالى –: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِما يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيمًا}.(٦).

قال المفسرون: أهل البيان يقولون: المنهي متى كان درجات، فطريق البلاغة النهي عن أدناها تنبيهًا على الأعلى، كقوله – تعالى –: {فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ}.(٧).

---

١) رواه أحمد، المسند، مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن العباس، ج٣/٣٦٧، برقم ١٨٧٥، وحسنه المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره.

٢) رواه ابن حبان، باب الزنى وحده، ذكر لعن المصطفى صلى الله عليه وسلم بالتكرار على العامل ماعمل قوم لوط، ج١٠/٢٦٥، برقم ٤٤١٧، وصححه الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ج٦/٤٢٠.

٣) فيض القدير للمناوي ج٦/٤.

٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

٥) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٩/٥٦٩.

٦) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

٧) تفسير القاسمي ج٣/١٠.

وقال القرطبي: "من البر بهما والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما ولا يعقهما، فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، وبذلك وردت السنة الثابتة".

وقال أيضًا: "قال علماؤنا: وإنما صارت قولة "أف" للأبوين أردأ شيء؛ لأنه رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية ورد الوصية التي أوصاه في التنزيل، و "أف" كلمة مقولة لكل شيء مرفوض؛ ولذلك قال إبراهيم لقومه: {أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}(١)" أي رفض لكم ولهذه الأصنام معكم ".(٢).

الرابع: أن سب الوالدين عقوق لهما، وعقوبة العقوق معجلة للعاق في الدنيا، فضلًا عما ينتظره في الآخرة، ويتبين ذلك من خلال هذين الحديثين:

أولهما: عن أنس، – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من عال جاريتين حتى تدركا، دخلت الجنة أنا وهو كهاتين – وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى – وبابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق».(٣).

وفي رواية عن أبي بكرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «اثنتان يعجلهما الله – عزوجل – في الدنيا البغي وعقوق الوالدين».(٤).

قال المناوي: "(اثنتان) من الخصال (يعجلهما الله) أي يعجل عقوبتهما لفاعلهما (في الدنيا) إحداهما (البغي) أي مجاوزة الحد في الطغيان، يعني التعدي بغير حق (و) الثانية (عقوق الوالدين) أي مخالفتهما أو إيذائهما أو أحدهما، والمراد من له ولادة، وإن علا من الجهتين، وألحق بهما الزركشي الخالة والعمة، واعترض،

---

١) سورة الأنبياء، الآية : ٦٧.

٢) تفسير القرطبي ج٢٣٨/١٠، ٢٤٣.

٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني، المستدرك على الصحيحين، كتاب البر والصلة، ج١٩٦/٤، برقم ٧٣٥٠، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج١١٢/٣.

٤) رواه البخاري، التاريخ الكبير، المحمدون، محمد بن عبد العزيز الجرمي، ج١٦٦/١، برقم ٤٩٤، وصححه الألباني، الجامع الصغير وزياداته، صـ ١٣٧.

وأصل التعجيل إيقاع الشيء قبل أوانه، قال – تعالى –: {أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ}(١)، وفيه أن البغي والعقوق من الكبائر، وخص هاتين الخصلتين من بين خصال الشر بذكر التعجيل فيهما لا لإخراج غيرهما، فإنه قد يعجل – أيضًا –؛ بل لأن المخاطب بذلك كان لا يحترز من البغي، ولا يبر والديه؛ فخاطبه بما يناسب حاله زجرًا له، وكثيرًا ما يخص بعض الأعمال بالحث عليها بحسب حال المخاطب، وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها، إما لمشقتها عليه، وإما لتساهله في أمرها".(٢).

وقال الصنعاني: "وإنما عجَّل الله عقوبة ذلك لعظمته عنده – تعالى –، والحديث من أعلام النبوة، فإنَّه واقع مُشاهَد، وهل يعاقبان على ذلك أيضًا في دار الآخرة؟ الظاهر ذلك إذا لم يتبا، ويُحتَمَل خلافه، وأن الله لا يجمع لهما عقوبتين، والأول أوضح".(٣).

ثانيهما: عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث(٤)، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى".(٥).

قال الولوي: "(ثلاثة لا ينظر الله – عز وجل – إليهم) أي نظر رحمة، ومغفرة، وإلا فلا يغيب أحد عن نظره، والمؤمن مرحوم في الآخرة قطعًا (يوم القيامة) خص يوم القيامة؛ لأنها مظهر الرحمة واللطف، هذا كله فيما إذا ماتوا قبل التوبة، فأما إذا تابوا، وماتوا، فإن الله – تعالى – يتوب عليهم، (العاق لوالديه) أي المقصر

---

١) سورة الأعراف، الآية: ج١٥/٣٧٠.

٢) فيض القدير للمناوي ج١/١٥١. بتصرف قليل.

٣) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج١/ ٣٦٠.

٤) المرأة المترجلة: هي التي تتشبه بالرجال في زيهم وهيآتهم، فأما في العلم والرأي؛ فمحمود، والديوث بالمثلثة: هو الذي لا يغار على أهله، وقيل هو سرياني معرب. حاشية السيوطي على سنن النسائي ج٥/٨٠.

٥) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الزكاة، المنان بما أعطى، ج٣/٦٣، برقم ٢٣٥٤، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢/ ٢٨٤.

في أداء الحقوق إليهما، (وثلاثة لا يدخلون الجنة) أي لاستحلالهم الذنوب التي ارتكبوها، فيكون على ظاهره، أو المراد لا يدخلون الجنة دخولًا أوليًا، بل بعد تقدم العذاب لهم، إن لم يستحلوها، وهذا كله فيما إذا ماتوا قبل التوبة، كما تقدم (العاق لوالديه) تقدم تفسيره قريبًا".(١).

وقال الصنعاني: "المغايرة في الوعيد لفظية؛ لأن من لا ينظر الله إليه، لا يدخل الجنة، ومن لا يدخلها، لا ينظر الله إليه".(٢).

الخامس: أن من اجتنب عقوق والديه، وبدل عقوقهما بإحسانهما؛ دخل الجنة من أي أبوابها شاء، بل جاء الخبر على ذلك مؤكدًا بالقسم، فعن عبد الله بن عمرو، قال: صعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المنبر، فقال: «لا أقسم، لا أقسم، لا أقسم»، ثم نزل، فقال: «أبشروا أبشروا، إنه من صلى الصلوات الخمس، واجتنب الكبائر، دخل من أي أبواب الجنة شاء»، قال المطلب: سمعت رجلًا يسأل عبد الله بن عمرو: أسمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يذكرهن؟، قال: نعم: «عقوق الوالدين، والشرك بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وأكل الربا».(٣).

ولما كان سب الوالدين منهيًا عنه، وجاء فيه ما جاء من الزجر والوعيد، كانت وصايا الصحابة – رضوان الله عليهم – منصبة على نهي الأبناء عن ذلك، ومن هذه الوصايا ما يلي:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال لرجل وهو يعظه في بر أبيه: «لا تمش أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تدعوه باسمه، ولا تستسب له».(٤).

---

١) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى ج٢٣/٦٩ ، ٧٠. بتصرف قليل.

٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٥/ ٢٣١.

٣) رواه الطبراني، المعجم الكبير، باب العين، ج٨/١٣، برقم ٣، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٧/ ١٣٣٢ ، ١٣٣٣.

٤) رواه البخاري، الأدب المفرد، باب لا يسمي الرجل أباه ولا يجلس قبله ولا يمشي أمامه، صـ٢٦، برقم ٤٤، وصححه الألباني، صحيح الأدب المفرد، صـ ٤٦.

بل إنه قد شدد بعض السلف في عقوبة عقوق الوالدين، وجاء عنه ما يدل على أن من أذى أبويه، فليس له الحق في العيش في هذه الدنيا، فعن أبي حازم، عن سعيد بن المسيب، قال: «إذا ضرب الرجل أباه فاقتلوه».(١).

قلت (أبو هَنَّاد): هذا قول لم يأت به قرآن ولا سنة صحيحة، فلا يعول عليه، إلا أن يحمل كلام ابن المسيب على من ضرب أباه حتى مات، فحينها نقول إنه يُقتَل بإجماع أهل العلم.

١) رواه الخرائطي، مساوئ الأخلاق، باب ما جاء في سب الرجل أباه، ولعنه من التغليظ، صـ ٥، برقم ٧٥.
قلت: وقد روي مرفوعًا إلا أنه ضعيف . ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ج٢/٢٠٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثامن

التحذير والنهي عن سب التائبين من أهل المعاصي

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ، أَتَى رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: «أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟» فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، قَالَ، فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ: «إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي»، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ»، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ.(١).

وفي رواية عن أبي الفيل، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تَسُبُّوا مَاعِزًا».(٢).

---

١) رواه مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ج١٣٢٣/٣، برقم ١٦٩٥.

٢) رواه البزار، كشف الأستارعن زوائد البزار، كتاب علامات النبوة، مناقب ماعز، ج٢٧٦/٣، برقم ٢٧٤٣، وصححه المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير ج٤٩٣/٢، وقال الهيثمي: رواه البزار، وفيه الوليد بن عبد الله بن أبي ثور، ضعفه جماعة وقد وثق، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ج٣٩٩/٩، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١٣٨/٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشرح:

هذا هو النهي السادس من التحذيرات والنواهي النبوية عن السِّبَاب، وهذا النهي يتعلق بصاحب معصية قد تاب منها، وهذه المعصية التي ذُكِرت في الحديث المتقدم هي جريمة الزنا، وكما هو معلوم أن الزنا من الكبائر، فإذا نُهِي عن سب التائب من الزنا؛ فما دونه أولى، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا نهينا عن سب التائب من المعصية؟

نهينا عن سب التائب من المعاصي؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أن توبته تجب ما قبلها من الذنوب والمعاصي، فيصير كأنه لم يفعل ذنبًا، ويدل على ذلك أمور منها:

أولها: أن الله – تعالى – أخبر أنه يبدل سيئات التائبين حسنات، فقال – تعالى –: {إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.(١).

فعن ابن عباس، قوله:(إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا) إلى آخر الآية، قال: هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة، فيبدّل الله سيئاتهم حسنات، حين يتوبون.(٢).

ثانيها: أنه قد جاء في الحديث المتقدم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لخالد «مهلًا يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له».

---

١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

٢) رواه الطبري، تفسير الطبري، ج١٩/٣١٠.

قال الصنعاني: "فهو نهي عن سب التائب من ذنبه"(١)، وقال – أيضًا: "(لا تسبوا ماعزًا) أي ابن مالك الذي رجم؛ لإقراره بإتيانه الزنا، نُهي عن سبه؛ لأنه قد تاب، وطهر دنس ذنبه الحد".(٢).

وقال البكري: "وفي الحديث بيان عظم التوبة، وأنها تجبّ الذنبّ، وتلحقي التائب بمن لم يقترب شيئًا من الذنب، وتكون سببًا لحوزه أنواع الفضل".(٣).

وقال أبو العباس القرطبي: "و (قوله – صلى الله عليه وسلم –: لقد تابت توبةً لو تابها صاحبُ مَكسٍ لغُفِر له)، صاحب المكس: هو الذي يأخذ من الناس ما لا يلزمهم شرعًا من الوظائف المالية بالقهر والجبر، ولا شك في أنه من أعظم الذنوب، وأكبرها، وأفحشها، فإنَّه غصب، وظلمٌ، وعَسفٌ على الناس، وإشاعةٌ للمنكر، وعملٌ به، ودوامٌ عليه، ومع ذلك كلِّه: إن تاب من ذلك، وردَّ المظالم إلى أربابها صحَّت توبته، وقبلت".(٤).

ثالثها: عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له".(٥).

قال الهروي: "(التائب من الذنب) أي: توبة صحيحة (كمن لا ذنب له) أي: في عدم المؤاخذة، بل قد يزيد عليه بأن ذنوب التائب تُبَدَّل حسنات، ويؤيد هذا ما جاء عن رابعة – رضي الله عنها – أنها كانت تفخر على أهل عصرها كالسفيانين والفضيل، وتقول: إن ذنوبي بلغت من الكثرة ما لم تبلغه طاعاتكم، فتوبتي منها بُدِّلَت حسنات، فصرت أكثر حسنات منكم".(٦).

---

١) التنوير شرح الجامع الصغير ج١١/١٠٧.

٢) المرجع السابق.

٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج١/١٤٢، ١٤٣.

٤) المفهم لما أشكل من حديث مسلم ج٥/ ٩٩.

٥) رواه ابن ماجه، السنن، أبواب الزهد، باب ذكر التوبة، ج٥/٣٢٠، برقم ٤٢٥٠، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج١/٥٧٨.

٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٤/١٦٣٦.

وقال ابن رجب الحنبلي: "الأكثرون على أن التائب من الذنب مغفور له، وأنه كمن لا ذنب له".(١).

الثاني: أننا مأمورون بالدعاء والاستغفار للتائب، كأن يثبته الله – تعالى – على توبته، وأن يغفر له ما تقدم من ذنبه، ومما يدل على ذلك أمران:

أولهما: أن الله – تعالى – ذكر لنا استغفار الملائكة الكرام للتائبين، والله – سبحانه – لا يذكر لنا شيئًا عن الصالحين إلا لكي نقتدي بهم، حيث إنه – تعالى – قال: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}.(٢).

قال ابن كثير: {فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ} أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا، وأنابوا، وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به، من فعل الخيرات وترك المنكرات".(٣).

ولذلك قال ابن القيم – رحمه الله –: "إن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أجد في كتاب الله المنزَّل أن العبد إذا قال: الحمد لله، قالت الملائكة رب العالمين وإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك، وإذا قال: سبحان الله قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك، وإذا قال: لا إله إلا الله قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك.(٤).

ثانيهما: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمرنا بالاستغفار للتائبين، فعن سليمان بن بريدة، عن أبيه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «استغفروا

---

١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب ج٨٢/١ ، ٨٣.

٢) سورة غافر، الآية ٧.

٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٧/ ١٣١.

٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم صـ ٨٠.

لماعز بن مالك»، قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لقد تاب توبة لو قُسِّمت بين أمة لوسعتهم».(١).

قال الطيبي: قوله: "(لو قسمت بين أمتي لوسعتهم) أي لكفتهم سعة، يعني توبة تستوجب مغفرة، ورحمة تستوعبان جماعة كثيرة من الخلق، يدل عليه قوله في الغامدية: (لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له)، فإن قلت: فإذن ما فائدة قوله – صلى الله عليه وسلم –: (استغفروا لماعز)؟ قلت: فائدة قوله: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ – إلى قوله – واسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً} (٢)، وقوله – تعالى –: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ} (٣)، فإن الثاني طلب مزيد الغفران، وما يستدعيه من الترقي في المقامات، والثبات عليها، ومنه قوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}.(٤).

الثالث: أن التائبين من الذنوب والمعاصي خير الخطائين، فعن أنس، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون".(٥).

إشكال وحله:

يشكل على حديث الأمر بالاستغفار للتائب من الذنب، رواية أخرى للحديث عن أبي سعيد، أن رجلًا من أسلم، يقال له ماعز بن مالك، أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: إني أصبت فاحشة، فأقمه علي، فرده النبي – صلى الله عليه وسلم – مرارًا، قال: ثم سأل قومه، فقالوا: ما نعلم به بأسًا إلا أنه أصاب شيئًا يرى

---

١) رواه مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ج٣/١٣٢١، برقم ١٦٩٥.

٢) سورة النصر، الآية ١ : ٣.

٣) سورة الفتح، الآية : ١ ، ٢.

٤) سورة هود، الآية : ٩٠. ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٨/ ٢٥١٧.

٥) رواه ابن ماجه، السنن، أبواب الزهد، باب ذكر التوبة، ج٥/٣٢١، برقم ٤٢٥١، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٢/ ٨٣١.

أنه لا يخرجه منه إلا أن يقام فيه الحد، قال: فرجع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمرنا أن نرجمه، قال: فانطلقنا به إلى بقيع الغرقد، قال: فما أوثقناه، ولا حفرنا له، قال: فرميناه بالعظم، والمدر، والخزف، قال: فاشتد، واشتددنا خلفه حتى أتى عرض الحرة، فانتصب لنا فرميناه بجلاميد الحرة – يعني الحجارة – حتى سكت، قال: ثم قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطيبًا من العشي، فقال: «أو كلما انطلقنا غزاة في سبيل الله، تخلف رجل في عيالنا، له نبيب كنبيب التيس، على ألا أوتى برجل فعل ذلك إلا نكلت به»، قال: فما استغفر له ولا سبه.(١).

وحل الإشكال يتضح من وجوه:

الأول: قال النووي: "قوله (فما استغفر له ولا سبه) أما عدم السب؛ فلأن الحد كفارة له مُطَهِّرة له من معصيته، وأما عدم الاستغفار؛ فلئلا يغتر غيره فيقع في الزنى، اتكالًا على استغفاره – صلى الله عليه وسلم ".(٢).

الثاني: قال السندي: "قلت: يمكن أن يراد أنه ما صلى عليه، وإلا فقد جاء أنه قال له النبي – صلى الله عليه وسلم – خيرًا، وأخبر عنه أنه ينغمس في أنهار الجنة(٣)، والله تعالى أعلم".(٤).

الثالث: قلت (أبو هَنَّاد): إنه يحتمل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استغفر له سرًا، فخفي ذلك على أبي سعيد، فقال قولته هذه (فما استغفر له ولا سبه)، والله أعلى وأعلم.

الثالث: – وهذا خاص بسيدنا ماعز – حيث إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبر أن ماعزًا أطيب عند الله من ريح المسك، ومن كان كذلك؛ فلا أقل من

---

١) رواه مسلم ، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ج٣/١٣٢٠، برقم ١٦٩٤.

٢) شرح النووي على مسلم ج١١/١٩٨ ، ١٩٩.

٣) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الرجم، كيف يفعل بالرجل، وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، ج٦/٤٣٤، برقم ٧١٦٢، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج٦/٥٣١.

٤) فتح الودود في شرح سنن أبي داود ج٤/ ٣١٧.

أن نطيب ألسنتنا إذا ذكرناه، فلا يجوز لنا سبه، فعن خالد بن اللجلاج أن أباه أخبره: أنه كان قاعدًا يعتمل في السوق، فمرت امرأة تحمل صبيًا، فثار الناس معها، وثرت فيمن ثار، فانتهيت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يقول: "من أبو هذا معك؟" فسكتت، فقال شاب حذوها: أنا أبوه يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فأقبل عليها، فقال: "من أبو هذا معك؟" فقال الفتى: أنا أبوه يا رسول الله، فنظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى بعض من حوله يسألهم عنه، فقالوا: ما علمنا إلا خيرًا، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: "أحصنت؟" قال: نعم، فأمر به فرُجِم، قال: فخرجنا به، فحفرنا له حتى أمكننا، ثم رميناه بالحجارة حتى هدأ، فجاء رجل يسأل عن المرجوم، فانطلقنا به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقلنا: هذا جاء يسأل عن الخبيث، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لهو أطيب عند الله من ريح المسك "فإذا هو أبوه، فأعناه على غسله وتكفينه ودفنه، وما أدري قال: والصلاة عليه، أم لا".(١).

قال ابن رسلان: "وفيه تظهر فضيلة إقراره في الدنيا، وتحمله مشاق عذاب الدنيا الذي هو أهون من عذاب الآخرة، فعوضه الله على صبره ذلك، بأن جعل ريحه في الآخرة في رائحة عمله في الميزان، أطيب من مسك الدنيا".(٢).

وقال السهارنفوري: "(فقال – صلى الله عليه وسلم –: لهو أطيب عند الله – عَزَّ وَجَلَّ – من ريح المسك)، ولعله – صلى الله عليه وسلم – علم بالوحي أن الله سبحانه غفر له".(٣).

الرابع: وهذا – أيضًا – خاص بسيدنا ماعز، فإنه – رضي الله عنه –، وإن وقع في معصية، إلا أنه من جملة الصحابة الذين نهينا عن سبهم، فينطبق عليه

---

١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، أول كتاب الحدود، باب رجم ماعز بن مالك، ج٦/٤٨٣، برقم ٤٤٣٥، وحسنه المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره.

٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ج١٧/ ٤٠٩.

٣) بذل المجهود في حل سنن أبي داود ج١٢/ ٥١٥.

قوله – صلى الله عليه وسلم – «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه».(١).

ما سبق ذكره من النهي عن سب العاصي مقيد بتوبته، فإذا لم يتب العاصي، وأصر على معصيته، كان فاسقًا، ولكن هل يجوز لنا سبه أم لا؟

قال الصنعاني: وأما الفاسق، فقد اختلف العلماء في جواز سبه بما هو مرتكب له من المعاصي، فذهب الأكثر إلى جوازه، واستدل الصنعاني على ذلك بأدلة وهي:

أ – عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «سِبَابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر».(٢).

قال الصنعاني: "والمراد بالمسلم في الحديث الكامل الإسلام، والفاسق ليس كذلك".

ب – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه".(٣).

قال الصنعاني: "وهم الذين جاهروا بمعاصيهم، فهتكوا ما ستر الله عليهم؛ فيبيحون بها بلا ضرورة ولا حاجة ".

---

١) سبق تخريجه.

٢) سبق تخريجه.

٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ج٨/٢٠، برقم ٦٠٦٩، وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر ج٤/٢٢٩١، برقم ٢٩٩٠.

ج – عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "من ألقى جلباب الحياء، فلا غيبة له".(١).

د – عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده – رضي الله عنه – قال: خطبهم رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال: «حتى متى تزعون(٢) عن ذكر الفاجر، اهتكوه حتى يحذره الناس».(٣).

قال الصنعاني: "فإن صح حمل على فاجر معلن بفجوره، أو يأتي بشهادة، أو يعتمد عليه فيحتاج إلى بيان حاله؛ لئلا يقع الاعتماد عليه، انتهى كلام البيهقي".(٤).

١) رواه البيهقي وقال: ليس بالقوي، كتاب الشهادات، باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، ج١٠/٣٥٤، برقم ٢٠٩١٥، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج٢/٥٤.

٢) الوزع: كف النفس عن هواها. الإبانة في اللغة العربية ج٤/ ٥١٢.

٣) رواه الطبراني، المعجم الكبير،ج١/٣٥٧،برقم ٥٩٨، وحسنه الصنعاني، سبل السلام ج٢/٦٦٣، وضعفه الألباني، الجامع الضغير وزياداته صـ١٧.

٤) سبل السلام ج٢/٦٦٣ ، ٦٦٤. بتصرف قليل.

المبحث التاسع

التحذير والنهي عن سب قريش

عن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لَا تَسُبُّوا قُرَيْشًا فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عِلْمًا اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَذَقْتَ أَوَّلَهَا عَذَابًا أَوْ وَبَالًا فَأَذْقِ آخِرَهَا نَوَالًا».(١).

الشرح:

هذا هو النهي السابع من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بسب قبيلة من القبائل التي لها فضل على الناس، ألا وهي قبيلة قريش، فمن قريش؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ ولماذا نهينا عن سبها؟ فنقول:

السؤال الأول: من قريش؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟

قريش: علم اسم قبيلة، وهم بنو النضر بن كنانة، فمن كان من بني النضر، فهو من قريش دون بني كنانة، وقيل: هم بنو فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلده فهر، فليس بقرشي، قال القرطبي: والقول الأول أصح وأثبت.(٢).

قال الشيخ طنطاوي:" قريش هو الجد الثالث عشر للنبي – صلى الله عليه وسلم".(٣).

وأما لماذا سميت بهذا الاسم؟

قال القرطبي: واختلف في تسميتهم قريشًا على أقوال:

---

١) رواه أبو داود الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، ما أسند عبد الله بن مسعود، ج٢٤٤/١، برقم ٣٠٧، وحسنه العراقي وقواه البيهقي وابن حجر، كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج٥٤/٢، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج٥٧٣/١.

٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج٥٤٦/١٠.

٣) التفسير الوسيط ج٥١٤/١٥.

أحدهما: لتجمعهم بعد التفرق، والتقرش: التجمع والالتئام.

قال أبو جلدة اليشكري:

إخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرهم وقديم

الثاني: لأنهم كانوا تجارًا يأكلون من مكاسبهم، والتقرش: التكسب، وقد قرش يقرش قرشًا: إذا كسب وجمع، قال الفراء: وبه سميت قريش.

الثالث: لأنهم كانوا يفتشون الحاج من ذي الْخَلَّةِ، فيسدون خَلَّتَهُ، والقرش: التفتيش.

قال الشاعر:

أيها الشامت المقرش عنا عند عمرو فهل له إبقاء

الرابع: ما روي أن معاوية سأل ابن عباس: لِمَ سميت قريش قريشًا؟ فقال: لدابة في البحر من أقوى دوابه يقال لها القرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى.

وأنشد قول تبع:

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشًا

تأكل الرث والسمين ولا تترك فيها لذي جناحين ريشًا

هكذا في البلاد حي قريش، يأكلون البلاد أكلًا كميشًا

ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموش.(١).

---

١) أخرجه الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١/١٠٩، ينظر: تفسير القرطبي ج٢٠/٢٠٢، ٢٠٣، والبحر المحيط في التفسير ج١٠/٥٤٦، ٥٤٧، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج٤/٤٩٤.

وقال صاحب إعراب القرآن: "التصغير للتعظيم، وقد صرفت قريش؛ لأنه أريد بها الحي، ولو أريد القبيلة؛ لامتنعت من الصرف، قال سيبويه في معد وثقيف وقريش وكنانة هذه للأحياء أكثر، وإن جعلتها أسماء للقبائل، فهو جائز وحسن".(١).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب قريش؟

لقد نهينا عن سب قريش؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أن عالمها يملأ الأرض علمًا، فعن عبد الله، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا قريشًا، فإن عالمها يملأ الأرض علمًا، اللهم إنك أذقت أولها عذابًا أو وبالًا فأذق آخرها نوالًا».(٢).

ولكن من هذا العالم الذي يملأ الأرض علمًا؟

قال الإمام أبو نعيم: "في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – "فإن عالمها يملأ الأرض علمًا" علامة بينة للمميز المنصف أن المراد بذلك رجل من علماء هذه الأمة من قريش قد كثر علمه وانتشر في البلاد، وكتبوا تآليفه كما تُكتَب المصاحف، واستظهروا أقواله، وهذه صفة لا نعلمها أحاطت إلا بالشافعي، إذ كان كل واحد من علماء قريش من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وإن كان علمه قد ظهر وانتشر، فإنه لم يبلغ مبْلغًا يقع تأويل هذه الرواية عليه، إذ كان لكل واحد منهم نتف وقطع ومسألات، وليس في كل بلد من بلاد الإسلام مدرس، وَمُفْتٍ، ومصنف يُصَنَّف على مذهب قريش إلا على مذهبه، فعلم أنه بعينه لا غيره، وهو الذي شرح الأصول والفروع، وازدادت على مر الأيام حسنًا وبيانًا.(٣).

وقال البيهقي: "وقد حمله جماعة من أئمتنا على أن هذا العالم الذي يملأ الأرض علمًا من قريش هو الشافعي، روي ذلك عن أحمد بن حنبل، وقاله أبو نعيم عبد الملك بن محمد الفقيه الإستراباذي وغيرهما.

---

١) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ج١٠/٥٩١.

٢) سبق تخريجه.

٣) الشافي في شرح مسند الشافعي ج١/٤٩، ٥٠.

ولا يجوز أن يكون المراد بقوله: «فإن عالمها يملأ الأرض علمًا» كل من كان عالمًا من قريش، فقد وجدنا جماعة منهم كانوا علماء، ولم ينتشر علمهم في الأرض، فإنما أراد بعضهم دون بعض، فإن كان المراد به كل من ظهر علمه، وانتشر في الأرض ذكره من قريش، فالشافعي ممن ظهر علمه، وانتشر ذكره، فهو في جملة الداخلين في الخبر، وإن كان المراد به زيادة ظهور وانتشار، فلا نعلم أحدًا من قريش أحق بهذه الصفة من الشافعي، فهو الذي صنف من جملة قريش في الأصول والفروع، ودونت كتبه، وحفظت أقاويله، وظهر أمره، وانتشر ذكره حتى انتفع بعلمه راغبون، وأفتى بمذهبه عالمون، وحكم بحكمه حاكمون، وقام بنصرة قوله ناصرون، حين وجدوه فيما قال مصيبًا، وبكتاب الله متمسكًا، ولنبيه – صلى الله عليه وسلم – متبعًا، وبآثار أصحابه مقتديًا، وبمَادلوه عليه من المعاني مهتديًا، فهو الذي ملأ الأرض من قريش علمًا، ويزداد على ممر الأيام تبعًا، فهو إذا أولاهم بتأويل هذا الخبر ودخوله فيما يروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: «الأئمة من قريش، قدموا قريشًا ولا تقدموها، وتعلموا من قريش ولا تعلموها»(١) وقوله: «الفقه يمان والحكمة يمانية».(٢).

وعن المزني، قال: " سمعت الشافعي يقول: رأيت علي بن أبي طالب في النوم، فسلم علي وصافحني وخلع خاتمه فجعله في إصبعي، وكان لي عم ففسرها لي فقال لي: أما مصافحتك لعلي فأمان من العذاب، وأما خلع خاتمه فجعله في إصبعك، فسيبلغ اسمك ما بلغ اسم علي في الشرق والغرب".

وعن عبد الرحمن بن الجارود الرقي، قال: "سمعت الربيع بن سليمان، يقول: والله لقد فشا ذكر الشافعي في الناس بالعلم، كما فشا ذكر علي بن أبي طالب".(٣).

---

١) رواه البيهقي، معرفة السنن والآثار، باب ذكر مولد الشافعي رحمه الله ، ج١/٢٠٦، برقم ٤٢٠، وصححه الألباني، الجامع الصغير وزياداته، ج٢، ٨٠٩.

٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين [ص:١٧٣] وأهل اليمن، ج٥/١٧٤، برقم ٤٣٩٠، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، ج١/٧٢، برقم ٥٢. ينظر: معرفة السنن والآثار للبيهقي ج١/١٠٦.

٣) أخرجهما الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢/٣٩٢.

الثاني: أن الله – تعالى – فضل قريشًا على الناس بفضائل عديدة، وإذا كان لهم فضل على الناس؛ فالواجب على الناس أن يقدروهم، فعن الزبير، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «فضل الله قريشًا بسبع خصال: فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين، لا يعبده إلا قرشي، وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون، وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم: لإيلاف قريش، وفضلهم بأن فيهم النبوة، والخلافة، والحجابة، والسقاية».(١).

قال الصنعاني: "وفيه أن شرف القبيلة بشرف بعض أفرادها، وإخباره بتفضيلها إعلام لما يجب من معرفة شرفهم وفضلهم".(٢).

الثالث: أن لهم حقًا على الناس، فمن لم يؤدِ حقهم؛ لعنه الله – تعالى –، فعن أنس بن مالك قال: كنا في بيت فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على باب البيت، فقال: "الأئمة من قريش، ولي عليكم حق، ولهم عليكم مثله ما فعلوا ثلاثًا: إذا استرحموا، رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين".(٣).

الرابع: أن من سب قريشًا؛ أهانه الله – تعالى –، فعن عبيد الله بن عمر بن موسى يقول: كنت عند سليمان بن علي، فدخل شيخ من قريش، فقال سليمان: انظر الشيخ، فأقعده مقعدًا صالحًا، فإن لقريش حقًا. فقلت: أيها الأمير، ألا أحدثك حديثًا بلغني عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ قال: بلى. قال: قلت له: بلغني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: "من أهان قريشًا، أهانه الله" قال: سبحان الله ما أحسن هذا، من حدثك هذا؟ قال: قلت: حدثنيه ربيعة بن أبي عبد الرحمن،

---

١) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، ج٩/٧٦، برقم ٩١٧٣، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته ج٢/٧٧٥.

٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٧/٥٠٢ ، ٥٠٣.

٣) أخرجه أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج٧/٩٤، برقم ٤٠٣٢، وصححه المحقق حسين سليم أسدالداراني.

عن سعيد بن المسيب، عن عمرو بن عثمان بن عفان، قال: قال لي أبي: يا بني، إن وليت من أمر الناس شيئًا فأكرم قريشًا، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "من أهان قريشًا، أهانه الله".(١).

قال المناوي: "(من أهان قريشًا أهانه الله) أي من أحل بأحد من قريش هوانا؛ جزاه الله عليه بمثله، وقابل هوانه بهوانه، ولعذاب الله أشد، هذا دعاء أو خبر".(٢).

وقال الصنعاني: "والمراد بهم: المؤمنون منهم؛ وذلك لأنهم قبيلته – صلى الله عليه وسلم – وأصوله، فلهم حق الإكرام، فمن أهانهم بغير إذن شرعي؛ استحق إهانة الله له".(٣).

١) رواه أحمد، المسند، ج١/ ٥٠٧، برقم ٤٦٠، وحسنه المحقق شعيب الأرنؤوط، وصححه الألباني عن عثمان، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج٢/ ١٠٥٤.

٢) التيسير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٢/ ٤٠٦.

٣) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج١٠/٤٣٣.

المبحث العاشر

التحذير والنهي عن سب أهل اليمن

عن عتبة بن عبد، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْعَنْ أَهْلَ الْيَمَنِ فَإِنَّهُمْ شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ، كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، حَصِينَةٌ حُصُونُهُمْ، قَالَ: «لَا» ، وَلَعَنَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – الْأَعْجَمَيْنِ فَارِسَ وَالرُّومَ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: «إِذَا مَرَّ بِكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ يَسُوقُونَ نِسَاءَهُمْ ويَحْمِلونَ أَبْنَاءَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».(١).

عن إسحاق الفهمِي، قَالَ:" كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمًا، فَأُتِيَ بِثَوْبٍ مِنْ ثِيَابِ الْمَعَافِرِ(٢)، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَعَنَ اللَّهُ هَذَا الثَّوْبَ، وَلَعَنَ مَنْ يَعْمَلُ لَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: «لَا تَلْعَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» وَقَالَ إِسْحَاقُ: وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَعْمَلُهُ"(٣).

الشرح:

هذا هو النهي الثامن من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بسب أهل بلدة معينة، ألا وهم أهل اليمن؟ فلماذا سميت بلدهم باليمن، ولماذا نهينا عن سبهم؟ فنقول:

السؤال الأول: لماذا سميت اليمن بهذا الاسم؟

قال أبو عبد الله البخاري: سميت اليمن؛ لأنها عن يمين الكعبة هذا قول الجمهور. وقال الرشاطي: سمي بذلك قبل أن تعرف الكعبة؛ لأنه عن يمين الشمس،

---

١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، باب العين، ج١٢٣/١٧، برقم ٣٠٤، وحسنه الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٥٦/١٠.

٢) المعافر: بطن من اليمن، تنسب إليهم الثياب المعافرية.الأنساب =أنساب العرب= تَارِيخِ العُوْتَبِي صـ ٥٥.

٣) رواه أحمد، المسند، ج٣١٠/٢٢، برقم ٧٨٧، وحسنه الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٥٦/١٠.

وقيل: سمي بيمن بن قحطان، وقيل: سمي بيعرب بن قحطان، لأن يعرب اسمه يمن، فلذلك قيل: أرض يمن.(١).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب أهل اليمن؟

نهينا عن سب أهل اليمن؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أن أهل اليمن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورسول الله منهم، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: «لا تلعنهم فإنهم مني وأنا منهم»، وفي رواية أخرى عن أبي موسى، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد، بالسوية، فهم مني وأنا منهم».(٢).

قال القسطلاني: "(إن الأشعريين) نسبة إلى الأشعري قبيلة من اليمن (إذا أرملوا في الغزو) فني زادهم، (أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم) أي متصلون بي، أو فعلوا فعلي في هذه المواساة، وفيه منقبة عظيمة للأشعريين".(٣).

وقال ابن حجر: "قوله فهم مني وأنا منهم أي هم متصلون بي، وتسمى من هذه الاتصالية، كقوله "لست من دَدٍ"(٤)، وقيل المراد فعلوا فعلي في هذه المواساة".(٥).

---

١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ج١٦/٧٢.

٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، ج٣/١٣٨، برقم ٢٤٨٦، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، ج٤/١٩٤٤، برقم ٢٥٠٠.

٣) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني ج٤/٢٨٣.

٤) نص الحديث: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لست من دَدٍ، ولا الدَّدُ مني بشيء»، يعني: ليس الباطل مني بشيء. رواه البخاري، الأدب المفرد، باب الغناء واللهو، صـ ٢٤٧، برقم ٧٨٥، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج٥/ ٤٦٩.

٥) فتح الباري لابن حجر ج٨/٩٧.

الثاني: أن أهل اليمن خير الناس بعد الصحابة، فعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مسير له، فقال: «يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب، هم خيار من في الأرض» فقال رجل من الأنصار: إلا نحن يا رسول الله، فسكت، ثم أعادها، فسكت، ثم أعادها الثالثة: إلا نحن يا رسول الله، فقال كلمة ضعيفة: «إلا أنتم».(١).

بل كذَّب النبيُ – صلى الله عليه وسلم – من فضل على أهل اليمن أهل نجد، وفي هذا ما يدل على خيريتهم، فعن عمرو بن عبسة السلمي قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعرض يومًا خيلًا وعنده عيينة بن حصن بن بدر الفزاري، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أنا أفرس بالخيل منك"، فقال عيينة: وأنا أفرس بالرجال منك، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: "وكيف ذاك؟" قال: خير الرجال رجال يحملون سيوفهم على عواتقهم جاعلي رماحهم على مناسج خيولهم، لابسو البرود من أهل نجد، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "كذبت بل خير الرجال رجال أهل اليمن"....(٢).

الثالث: أن أهل اليمن أرق الناس أفئدة، وألينهم قلوبًا، وأفضلهم إيمانًا، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبًا، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم».(٣).

قال ابن الملك: "هم أرق أفئدة، وألين قلوبًا": قيل: هما متقاربا المعنى، كررهما باختلاف اللفظين تأكيدًا، وأراد بلين القلوب: سرعة خلوص الإيمان إليها، وقد يقال: إن الفؤاد فم المعدة، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، فإذا رق الغشاء، أسرع نفوذ القول إلى

---

١) رواه أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج٣٩٨/١٣، برقم ٧٤٠١، وقال المحقق الداراني : إسناده جيد.

٢) رواه أحمد، المسند، مسند الكوفيين، ج١٩٠/٣٢ ، ١٩١، برقم ١٩٤٤٦، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج١٧٣/٥، برقم ٤٣٨٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج٧٢/١، برقم ٤٣٨٨.

ما وراءه، وإذ لان جوهر القلب أثر الوعظ فيه تأثيرًا بليغًا، وأهل اللغة يعدون القلب والفؤاد شيئًا واحدًا، وكلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – ينبئ بالتفرقة بينهما، فقيل: لعله أراد بالأفئدة ما يظهر للأبصار، وبالقلوب ما يظهر للبصائر، وعن بعض المشايخ: أن الفؤاد هو القلب بغلافه، وعلى هذا، فيُحتَمَل أنه أشار – صلى الله عليه وسلم – بالرقة إليه، وباللين إلى القلب".(١).

وقال القاضي عياض: "ومعنى قوله: "الإيمان يمان": أي معظم أهله يمانون، والقائمون به يمانون والناصرون له، أو مستقره – إن كان المراد الأنصار – أو مبتدؤه وظهوره عندهم – على ما أشار إليه من قال: إن المراد به مكة والمدينة، وقيل: معناه: أهل اليمن أكمل الناس إيمانًا".(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): ولذلك بوب الإمام مسلم – رحمه الله – في صحيحه هذا الباب بقوله: باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه.

وحكى أبو عبيد في المراد باليمن أقوالًا:

أحدها: أنه أراد بذلك مكة، فإنه يقال: إن مكة من تهامة، وتهامة من أرض اليمن.

والثاني: المراد مكة والمدينة فإنه يروى ما في الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – قال هذا الكلام وهو بتبوك، ومكة ومدينة حينئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة، فقال: الإيمان يمان ونسبها إلى اليمن؛ لكونها حينئذ من ناحية اليمن، كما قالوا: الركن اليماني وهو بمكة؛ لكونه إلى ناحية اليمن.

والثالث: ما ذهب إليه كثير من الناس وهو أحسنها، أن المراد بذلك الأنصار؛ لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم؛ لكونهم أنصاره.

---

١) شرح المصابيح لابن الملك ج٦/ ٥١٩.

٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ج١/ ٣٠٢.

واعترض عليه ابن الصلاح فقال ما ملخصه:

إنه لو نظر إلى طرق الأحاديث لما ترك ظاهر الحديث، منها: قوله – عليه السلام –: (أتاكم أهل اليمن) والأنصار من جملة المخاطبين بذلك، فهم إذا غيرهم. ومنها: قوله عليه السلام: (جاء أهل اليمن)، وإنما جاء حينئذ غير الأنصار، فحينئذ لا مانع من إجراء الكلام على ظاهره، وحمله على الحقيقة؛ لأن من اتصف بشيء وقوى قيامه به، نسب ذلك الشيء إليه إشعارًا بتمييزه به، وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان، وليس في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله – صلى الله عليه وسلم –: (إن الإيمان ليأرز إلى الحجاز)(١)، ويروى: (الإيمان في أهل الحجاز)(٢)؛ لأن المراد بذلك الموجود منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه.(٣).

وأيد ذلك الإمام الطحاوي حيث إنه قال: "ففيما روينا في هذا الحديث – حديث عمرو بن عنبسة السابق – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تبيانه أهل اليمن الذين أرادهم بما في الآثار الأول، وأنهم أهل هذه القبائل اليمانية لا من سواهم".(٤).

قلت (أبو هَنَّاد): عقب الصنعاني على كلام أبي عمرو بن الصلاح فقال:

"ونعم ما قال إن الحق أن المراد أهل اليمن حقيقة، وأما قوله: أنه لم يرد إلا الموجودين، ففيه نظر، فإن ظاهر الممادح الواردة في أهل البقاع مثل قوله: "أهل الشام سوط الله في الأرض"(٥)، الحديث، ونحوه ما أريد بها الموجودون، بل أهل ذلك

---

١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ج١٨/٥، برقم ٢٦٣٠، وضعفه الألباني، مشكاة المصابيح ج٦٠/١.

٢) رواه أحمد، المسند، ج٤٢٢/٢٢، برقم ١٤٥٥٨، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره.

٣) عمدة القارئ ج٧٢/١٦

٤) شرح مشكل الأثار للطحاوي ج٢٧٣/٢.

٥) رواه أحمد، المسند، ج٤٦٧/٢٥، برقم ١٦٠٦٥، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره: أثر ضعيف.

المحل في أي زمان، بل لا يصح في حديث أهل الشام إرادة الموجودين، فإنه – صلى الله عليه وسلم – تكلّم بهذا قبل إسلام أهل الشام، وما هذه من الشيخ أبي عمرو إلا نعته مذهبيه، كأنه رأى أهل اليمن في عصره ليسوا من أهل المذاهب الأربعة، فحمل الحديث على الموجودين، علمًا أن الموجودين عند تكلّمه – صلى الله عليه وسلم – بالحديث لم يكن الأكثر منهم قد أسلم، فإنه ذكر في شرح مسلم أنه – صلى الله عليه وسلم – تكلَّم بهذا الحديث وهو في تبوك، ولم يكن حينئذ كل أهل اليمن قد أسلموا، بل البعض منهم، فلو حمل الحديث على الجماعة الذين أتوه – صلى الله عليه وسلم – من أهل اليمن؛ لكان أوفق وأنسب لقوله: "أتاكم"، على أن هذه الأحاديث الواردة في الفضائل لقبيلة، أو بلدة ليست عامةً للأفراد، بل هي خاصة في نوع من وردت فيه، فلا ينافيها خروج أفراد عن تلك الفضيلة، والحق أن أهل اليمن في كل الأعصار منهم الأخيار، والأشرار ولا تنافي الحديث، كما أن أهل الشام كذلك، فهي فضيلة للنوع لا للأفراد، وهي قاضية بأن الأخيار أغلب من الأشرار".(١).

الرابع: أنهم من أنصار الله – تعالى – ورسوله، فعن ابن عباس، قال: قال نبي الله – صلى الله عليه وسلم –: «يخرج من عدن اثنا عشر ألفًا ينصرون الله ورسوله، هم خير من بيني وبينهم» قال المعتمر: أظنه قال: في الأعماق".(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): لما ورد النهي عن سبهم، اجتنب الصحابة الكرام سبهم، بل ونهوا عن سبهم، فعن معاذ بن محمد بن حيان الهذلي قال: حدثني أبي، عن جدي قال: كنا عند عبد الله بن عمر، فذكروا حاج أهل اليمن وما يصنعون فيه، فسبهم

---

١) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج١/٢٦٨، ٢٦٩.

٢) أخرجه أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ج٤/٢٠٥، برقم ٢٤١٥، وقال البوصيري: رواه أبو يعلى الموصلي وأحمد بن حنبل بسند رواته ثقات. إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ج٧/ ٣٥٥.

بعض القوم، فقال ابن عمر: لا تسبوا أهل اليمن، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «زين الحاج أهل اليمن».(١).

قال الصنعاني: "(زين الحاج أهل اليمن) أي هم زينة الحجاج وبهجتهم؛ لما فيهم من التواضع وحسن الشمائل، ولين الأخلاق ".(٢).

وقال المناوي: "(زين الحاج أهل اليمن) أي هم بهجة الحاج ورونقه؛ لما لهم من البهاء والكمال حسًا ومعنى".(٣).

١) رواه الطبراني، المعجم الأوسط،ج١٦٣/٤، برقم ٣٨٧٣،وحسنه الهيثمي وغيره،مجمع الزوائد ج٥٥/١٠.

٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٦/ ٣٢٨.

٣) فيض القدير للمناوي ج٤/ ٦٧.

المبحث الحادي عشر

التحذير والنهي عن سب الأموات

عن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: «لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا».(١).

الشرح:

هذا هو النهي التاسع من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وفي هذا النهي، ينهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سب إنسان لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ألا وهو الميت، فكما أن الله – تعالى – حرَّم علينا سب الأحياء؛ فكذلك حرم علينا سب الأموات؛ لأن الميت في حاجة إلى من يدعو له، لا من يذكر سيئاته؛ ولأن حرمته كحرمة الحي، ولذلك قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: «أذى المؤمن في موته كأذاه في حياته»(٢)، وسب الأموات، يعني: شتمهم من السب، وهو القطع، وقيل: من السبة، وهي خلقة الدبر كأنها على القول الأول قطع المسبوب عن الخير والفضل، وعلى الثاني كشف العورة، وما ينبغي أن يستر(٣)، وإذا كنا نُهِينا عن سب الميت، فمن الميت الذي نهينا عن سبه؟ ولماذا نهينا عن سبه؟

السؤال الأول: من الميت الذي نُهِينا عن سبه؟

من خلال النظر في حديث عائشة المتقدم، نجد أن ظاهر الحديث عام في كل ميت – مسلمًا كان أو كافرًا، عدلًا كان أو فاسقًا –، فهل هذا الظاهر مراد أم لا؟

ويمكن أن يجاب عن هذا بما يلي:

---

١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات، ج٢/١٠٤، برقم ١٣٩٣.

٢) رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الجنائز، ما قالوا في سب الموتى، وما كره من ذلك، ج٣/٤٦، برقم ١١٩٩٠، وقال الساعاتي: سنده جيد، ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني للساعاتي ج٨/٥٠.

٣) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ج٨/٢٣٠.

أولًا: أن عمومه مخصوص بحديث أنس – رضي الله عنه –: حيث قال: مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًا، فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرًا، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»(١)، ولم ينكر – صلى الله عليه وسلم – عليهم.

قال القرطبي أثناء كلامه على حديث وجبت: يحتمل أجوبة:

الأول: أن الذي كان يحدث عنه بالشر كان مستظهرًا به، فيكون من باب لا غيبة لفاسق، أو كان منافقًا.

ثانيها: يحمل النهي على ما بعد الدفن، والجواز على ما قبله؛ ليتعظ به من يسمعه.

ثالثها: يكون النهي العام متأخرًا فيكون ناسخًا، قال ابن حجر: وهذا ضعيف.

ثانيًا: أنه يحتمل أن اللام في الأموات عهدية، والمراد به المسلمون؛ لأن الكفار مما يتقرب إلى الله بسبهم، ويدل على ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث ابن عباس «لا تسبوا أمواتنا؛ فتؤذوا أحياءنا».(٢).

ثالثًا: أنه يحتمل أن يكون النهي على عمومه فيما بعد الدفن، والمباح ذكر الرجل بما فيه قبل الدفن؛ ليتعظ بذلك فساق الأحياء، فإذا صار إلى قبره، أمسك عنه؛ لإفضائه إلى ما قدم، وقد عملت عائشة راوية هذا الحديث بذلك في حق من استحق عندها اللعن؛ فكانت تلعنه وهو حي، فلما مات، تركت ذلك، ونهت عن لعنه، فعن مجاهد، قال: قالت عائشة: ما فعل الله بزيد بن قيس لعنه الله؟، قالوا: قد

---

١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، ج٢/٩٧، برقم ١٣٦٧.

٢) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب القسامة، القود من اللطمة، ج٦/٣٤٥، برقم ٦٩٥١، وصححه العراقي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ج٤/١٦٥٢.

مات، قالت: فأستغفر الله، فقالوا لها: مالكِ لعنتِه، ثم قلت: استغفر الله؟، قالت: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا"(١)، وفي رواية قالت: «إنا نهينا أن نسب موتانا».(٢).

رابعًا: أن السب ينقسم في حق الكفار، وفي حق المسلمين، أما الكافر؛ فيُمنَع إذا تأذى به الحي المسلم، وأما المسلم، فحيث تدعو الضرورة إلى ذلك، كأن يصير من قبيل الشهادة، وقد يجب في بعض المواضع، وقد يكون فيه مصلحة للميت، كمن علم أنه أخذ ماله بشهادة زور، ومات الشاهد، فإن ذكر ذلك ينفع الميت، إن علم أن ذلك المال يرد إلى صاحبه.(٣).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب الأموات؟

لقد نهينا عن سب الأموات؛ لأسباب كثيرة منها:

الأول: أن الأموات قد وصلوا إلى ما عملوا من خير وشر، والله هو المجازي إن شاء، عفا عنهم، وإن شاء عذبهم، فلا فائدة في سبهم إذًا؛ فيحرم، وهذه الحكمة ذُكِرَت في حديث عائشة قالت: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».(٤).

قال ابن الجوزي: "المعنى: قد صاروا إلى جزاء ما قدموا، فإن كانوا قد جوزوا بالشر، فيكفِ ما هم فيه، وإن كانوا قد غفر لهم لم يضرهم السب".(٥).

وقال ابن الملقن: "يعني: قد عاينوا عملهم، وذهب وقت وعظهم، فسبهم أشد من سب الأحياء، قد عاينوا أعمالهم من حسن وقبيح، أحصاه الله ونسوه".(١).

---

١) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، فصل في الموت وما يتعلق به، ذكر بعض العلة التي من أجلها زجر عن هذا الفعل، ج٧/٢٩٠ ، ٢٩١، برقم ٣٠٢١، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ج٣/٣٧٨

٢) رواه الطبراني، الدعاء، باب النهي عن سب الموتى، صـ٥٧٢، برقم ٢٠٦٦.

٣) فتح الباري لابن حجر ج٣/٢٥٨، ٢٥٩، ونيل الأوطار للشوكاني ج٤/١٣١. بتصرف.

٤) سبق تخريجه، ينظر: فيض القدير للمناوي ج٦/٣٩٨.

٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ج٤/٣٩١ ، ٣٩٢.

الثاني: أن سب الأموات فيه أذية للأحياء، فعن ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تسبوا أمواتنا؛ فتؤذوا أحياءنا».(٢).

قال الشوكاني: "أي فيتسبب عن سبهم أذية الأحياء من قراباتهم، ولا يدل هذا على جواز سب الأموات عند عدم تأذي الأحياء كمن لا قرابة له، أو كانوا، ولكن لا يبلغهم ذلك؛ لأن سب الأموات منهٍ عنه للعلة المتقدمة – قد أفضوا إلى ما قدموا –، ولكونه من الغيبة التي وردت الأحاديث بتحريمها، فإن كان سببًا لأذية الأحياء؛ فيكن محرمًا من جهتين، وإلا كان محرمًا من جهة".(٣).

قلت (أبو هَنَّاد): قد وقع بالفعل أذية الأحياء بسبب سب أمواتهم، فعن علي بن ربيعة، قال: لما افتتح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مكة توجه من فوره إلى الطائف، ومعه أبو بكر، ومعه ابن سعيد بن العاص، فقال أبو بكر: لمن هذا القبر؟ قالوا: قبر سعيد بن العاص، فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر، فإنه كان يحاد الله ورسوله، فقال: ابن سعيد: لعن الله أبا قحافة فإنه كان لا يقري الضيف، ولا يمنع الضيم، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن سب الأموات يغضب الأحياء، فإذا سببتم المشركين، فسبوهم جميعًا».(٤).

الثالث: أن الحي مأمور بذكر محاسن الميت لا بذكر مساوئه، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ذكر عند النبي – صلى الله عليه وسلم – هالك بسوء فقال: «لا تذكروا هلكاكم إلا بخير».(٥).

---

١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ج١٠/ ٢٠٤.

٢) سبق تخريجه.

٣) نيل الأوطار للشوكاني ج١٣٢/٤.

٤) رواه أبو داود، المراسيل، باب الأدب، صـ ٣٤٥، برقم ٥٠٧، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ج٨٧٦/١١.

٥) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الجنائز، النهي عن ذكر الهلكى إلا بخير، ج٤٢٦/٢، برقم ٢٠٧٣، وقال العراقي: إسناده جيد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين صـ ١٨٧٦.

وعن عطاء، أن رجلًا ذُكر عند عائشة فلعنته أو سبته، فقيل لها: إنه قد مات، فقالت: أستغفر الله له، فقيل لها: يا أم المؤمنين لعنتِه ثم استغفرتِ له، فقالت: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال «لا تذكروا موتاكم إلا بخير».(١).

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم".(٢).

قال الصنعاني: "(اذكروا محاسن موتاكم) قيل: الأمر فيه للندب؛ وذلك للترحم عليهم، ويستغفر لهم، ويقتدي بهم السامع (وكفوا عن مساوئهم) وفي هذا للإيجاب لما سبق".(٣).

وقال الطيبي: "قوله: (اذكروا محاسن موتاكم) المأمور والمنهي بهذا الأمر والنهي، إن كان من الصالحين من عباد الله، فكما أن ذكرهم محاسن الموتى مؤثر فيهم أمروا بذلك، وأن ذكرهم مساوئهم كذا مؤثر، فعليه ألا يسعى إلى ضرر الغير، كما سبق في حديث أنس – رضي الله عنه –: (أنتم شهداء الله)، وإن كان المأمور والمنهي غيرهم، فإن أثر النفع والضرر راجع إلى القائل، فعليه أن يجتنب ما يتضرر بذكره، ويتحرى ما له من نفع فيه".(٤).

الرابع: أن من سب الميت، فقد عرض نفسه للتهلكة، فعن عبد الله بن عمرو – يرفعه – قال: «سبَّاب الميت – وقال مرة: الموتى – كالمشرف على الهلكة». (٥).

---

١) رواه أبو داود الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، أحاديث النساء، مسند عائشة، ج٣/٩٥، برقم ١٥٩٧، وقال العجلوني: إسناده جيد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ج١/١٢١.

٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب النهي عن سب الموتى، ج٧/ ٢٦١ ، برقم ٤٩٠٠، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره.

٣) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٢/٢٤٣.

٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٤/ ١٤٠٢.

٥) رواه الطبراني، المعجم الكبير، ج١٣/ ٥٢٧، برقم ١٤٤١١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الزوائد ج٨/٧٦، وقال الرباعي الصنعاني: رواه البزار وإسناده جيد، فتح الغفار الجامع لسنة نبينا المختار ج٤/٢٠٨٦.

وعن ابن عمرو – موقوفًا –، قال: «ساب الميت كالمشرف على التهلكة».(١).

قال المناوي: "أراد الموتى المؤمنين، وإيذاء المؤمن الميت أغلظ من الحي؛ لأن الحي يمكن استحلاله، والميت لا يمكن استحلاله؛ فلذا توعد عليه بالوقوع في الهلاك".(٢).

وقال الصنعاني: (ساب الموتى) السب الشتم. (كالمشرف على الهلكة) أي يكاد يدنو من الهلاك الأخروي، وهذا تحذير عن السب، وهو ظاهر في كل مؤمن إلا من أباح الشارع سبه.(٣).

١) رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الجنائز، ما قالوا في سب الموتى، وما كره من ذلك، ج٣/٤٦، برقم ١١٩٨٨، وإسناده صحيح، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ج٥/٤٤٥.

٢) فيض القدير للمناوي ج٤/٧٩.

٣) التنوير شرح الجامع الصغير ج٦/٣٥١.

المبحث الثاني عشر

التحذير والنهي عن سب تبع وورقة بن نوفل

هذا هو النهي العاشر من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بشخصيتين عظيمتين، أحدهما سبق زمنه زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يره، وهو تبع، والآخر سبق زمنه زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكنه رآه في آخر حياته، وهو ورقة بن نوفل، وسأتناول هاتين الشخصيتين فيما يلي: فأقول:

الشخصية الأولى: تبع – رحمه الله –

. عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: « لَا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ ».(١).

الشرح:

هذه هي الشخصية الأولى التي نهى رسولنا – صلى الله عليه وسلم – عن سبها، وهذه الشخصية تتمثل في رجل يسمى تبع، فمن تبع؟ وهل كان نبيًا؟ ولماذا نهينا عن سبه؟

السؤال الأول: من تبع؟ وهل كان نبيًا أم رجلًا صالحًا؟

تبع هو: تبع بن حسَّان بن تبع، ويقال: إنه تبع الأصغر، آخر التبابعة، ويقال: اسم تبع هذا حسان بن تبع بن أسعد بن كرب الحميري، وكان مهيبًا، فسار إلى الشام، وملوكه غسّان، فأطاعوه، وصار إلى يثرب وبها قوم من اليهود، فشكا إليه بعضًا من خرج مع عمرو بن عامر من اليمن ضيق مجاورة اليهود؛ فقتل من

---

١) رواه أحمد، المسند، مسند الأنصار، ج٣٧/٥١٩، برقم ٢٢٨٨٠، وحسنه البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة ج٥/٣٧٩.

اليهود ثلاث مئة وخمسين رجلًا صبرًا، وأراد أن يخرب يثرب، فخرج إليه حبر من أحبار اليهود، قد أتت عليه مئتان وخمسون سنة، فقال: أيها الملك، إنك لا تقدر على إخراب هذه القرية، قال: ولِمَ؟ قال: لأن بها مُهاجَر نبي من ولد إسماعيل – عليه السلام – فرجع عن المدينة إلى اليمن، وطالت أيامه، فملك ثمانيًا وسبعين سنة، ويقال: إنه الذي أخذ الحَبْرين، وقال الشعر، وأُخبِر بخروج النبيّ – صلى الله عليه وسلم –، ثم مات.(١).

قال ابن كثير: وكان مما يحفظ من شعره:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري إلى عمره، لكنت وزيرًا له وابن عم

وجاهدت بالسيف أعداءه، وفرجت عن صدره كل غم.(٢).

واختلف أهل العلم فيه هل كان نبيًا أم لا؟

قال القرطبي: واختلف هل كان نبيًا أم ملكًا:

فقال ابن عباس: كان تبع نبيًا.

وقال كعب: كان تبع ملكًا من الملوك، وكان قومه كهانين، وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قربانًا، ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب، فأسلم.

وقالت عائشة – رضي الله عنها –: "لا تسبوا تبعًا؛ فإنه كان رجلًا صالحًا".(٣).

---

١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ج٥٠٢/٢، وتاريخ دمشق ج٣/١١ ، وما بعدها.

٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن ج٥٥/٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج١٦٦/٢.

٣) تفسير القرطبي ج١٤٦/١٦.

قلت (أبو هَنَّاد): الذي تميل إليه النفوس هو عدم الترجيح بين هذه الأقوال؛ وترك علم ذلك إلى الله – تعالى –؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – تردد في ذلك فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما أدري تبع أنبيًا كان أم لا؟ وما أدري ذو القرنين أنبيًا كان أم لا؟ وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا؟».(١).

فإن قيل: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال هذا قبل أن يعلم شيئًا من ذلك؛ لأنه صح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه أخبر بأن الحدود كفارات لأهلها.

كان جوابي: نعم، صح ذلك عنه – صلى الله عليه وسلم –، ولكن يبقى ما عدا ما أخبر به على أصله، ألا وهو عدم علمه بأن تبعًا، وذا القرنين كانا نبيين أم لا.

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب تبع؟

نهينا عن سب تُبَّع؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أنه كان من أهل الإسلام، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "لا تسبوا تبعًا؛ فإنه قد كان أَسلم"، إذًا فعدم سبه؛ لأجل أنه كان مسلمًا.

وعن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: " نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الناس عن سب أسعد، وهو تبع، قلنا يا أبا عبد الله: وما كان أسعد، قال: كان على دين إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – وكان إبراهيم يصلي كل يوم صلاة، ولم تكن شريعة ".(٢).

قال الصنعاني: "(فإنه كان قد أسلم) أي آمن وصدق بالنبوة ولوازمها".(٣).

---

١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، ج٩٢/١، برقم ١٠٤.

٢) رواه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦/١١.

٣) التنويرشرح الجامع الصغير ج١٠٦/١١.

الثاني: أنه كان رجلًا صالحًا، فعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: «كان تبع رجلًا صالحًا، ألا ترى أن الله – عز وجل – ذم قومه ولم يذمه؟».(١).

الثالث: أن الله ذم قومه ولم يذمه، قال كعب: ذمّ الله قومه ولم يذمه(٢)، يقصد (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ).(٣).

الرابع: قيل: إنه كسا الكعبة المُشَرَّفة، ومن كسا الكعبة، فحقه التكريم لا التحقير، فعن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه نهى عن سب أسعد الحميري، وهو تبع، وكان هو أول من كسا الكعبة".(٤).

وعن تميم عن سعيد بن جبير، أن تُبَّعًا كسا البيت، ونهى سعيد عن سبه.(٥).

وقال في ذلك:

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِيْ حَرَّمَ اللَّـ... ـهُ مَلاَءً مُعَصَّبًا وَبُرُوْدَا

وَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا... وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيْدَا

وَخَرَجْنَا مِنْهُ نَؤُمُّ سُهَيْلًا... قَدْ رَفَعْنَا لِوَائَنَا مَعْقُوْدَا.(٦).

إشكال وحله:

كيف يقال إن تبعًا كان قد أسلم، وقد ورد ما يدل على خلاف ذلك، فقد تردد النبي – صلى الله عليه وسلم – في أمره، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال:

---

١) أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، ج٢/٤٨٨، برقم ٣٦٨١.

٢) أخرجه الطبري، تفسيرالطبري، ج٢٢/٤٠.

٣) سورة الدخان، الآية: ٣٧.

٤) أخرجه الأزرقي، أخبارمكة وما جاء فيها من الآثار، ذكر من كسا الكعبة في الجاهلية، ج١/٢٤٩، وضعفه البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة ج٣/١٩٥.

٥) أخرجه الطبري، تفسيرالطبري، ج٢٢/٤٠.

٦) تفسير حدائق الروح والريحان في تفسير روابي القرآن ح٢٦/٣٨٥.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما أدري أتبع كان لعينًا أم لا، وما أدري أذو القرنين كان نبيًا أم لا، وما أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا؟ ».(١).

وحل هذا الإشكال يظهر جليًا، إذا عرفنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال هذا الكلام قبل أن يوحي إليه في شأن تبع، وهذا ما قاله الأئمة، فقد قال ابن حجر – رحمه الله –: "فالجمع بينه وبين ما قبله أنه – صلى الله عليه وسلم – أعلم بحاله بعد أن كان لا يعلمها؛ فلذلك نهى عن سبه، خشية أن يبادر إلى سبه من سمع الكلام الأول".(٢).

الشخصية الثانية: ورقة بن نوفل – رحمه الله –

. عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ».(٣).

الشرح:

هذه هي الشخصية الثانية التي نهانا نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن سبها، وهذه الشخصية تتمثل في رجل سبق زمنه زمن نبينا – صلى الله عليه وسلم – إلا أنه رآه في آخر حياته، وهذه الشخصية تتمثل في رجل يسمى ورقة، فمن هو ورقة؟ ولماذا نهينا عن سبه؟

السؤال الأول: من ورقة؟

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمه هند بنت أبي كثير بن عبد العزى، هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان، وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من

---

١) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، ج٤٨٨/٢، برقم ٣٦٨٢، وصححه العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب ج١٩٤/٤.

٢) فتح الباري لابن حجر ج٥٧١/٨.

٣) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، ج٦٦٦/٢، برقم ٤٢١١، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٧٦١/١.

أكل ذبائح الأوثان، قال عروة: كان بلال لجارية من بني جمح بن عمرو، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء؛ ليشرك بالله، فيقول: أحد أحد، فيمر عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك، فيقول: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانًا(١) كأنه يقول لأتمسحن به وقال ورقة في ذلك:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم: أنا النذير فلا يغرركم أحد

لا تعبدن إلهًا غير خالقكم، فإن دعوكم فقلوا بيننا جدد

سبحان ذي العرش سبحان يعود له، وقبل قد سبحته الجود الجمد

مسخر كل ما تحت السماء له، لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد

لا شيء مما نرى إلا بشاشته، يبقى الإله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يومًا خزائنه، والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ دان الشعوب له، والجن والإنس تجري بينها البرد.(٢).

وفي المؤرخين من يعده في الصحابة، قال البغدادي: ألف أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعي تأليفًا في إيمان ورقة بالنبيّ، وصحبته له، سماه "بذل النصح والشفقة، للتعريف بصحبة السيد ورقة". وفي وفاته روايتان:

إحداهما الراجحة: وهي في حديث البخاري، قال: "ثم لم ينشب ورقة أن توفي"(٣) يعني بعد بدء الوحي بقليل.

---

١) قال عنه ابن حجر : هذا مرسل جيد، الإصابة في تمييز الصحابة ج٦/٤٧٤ – ٤٧٧.

٢) الوافي بالوافيات ج٢٧/٢٥٧.

٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {ما ودعك ربك وما قلى}، ج٦/١٧٣، برقم ٤٩٥٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج١/١٣٩، برقم ١٦٠.

والثانية: عن عروة بن الزبير، قال في خبر تعذيب "بلال": "كانوا يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك، فيقول: أحَد، أحَد! فيمر به ورقة، وهو على تلك الحال، فيقول: "أحَد أحَد، يا بلال" وهذا يعني أنه أدرك إسلام بلال، وعالج ابن حجر (في الإصابة) التوفيق بين الروايتين، فلم يأتِ بشئ.(١).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سبه؟

نهينا عن سب ورقة بن نوفل؛ لأسباب منها:

الأول: أنه آمن وأقر بنبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – فعن عائشة، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم –، قالت: كان أول ما بدأ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرؤيا الصادقة في النوم ... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي – صلى الله عليه وسلم – خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيًا، ذكر حرفًا، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أومخرجي هم؟» قال ورقة: نعم، لم يأتِ رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني يومك حيًا، أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن تُوُفِي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.(٢).

قال ابن حجر: "فهذا ظاهره أنه أقر بنبوته".(٣).

قلت (أبو هَنَّاد): ولكن يشكل على ذلك قول ابن عساكر: "ولا أعرف من قال إن ورقة أسلم، والنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يقطع بإسلامه".(٤).

---

١) الأعلام للزركلي ج٨/١١٣، ١١٤.

٢) سبق تخريجه.

٣) الاصابة في تمييز الصحابة ج٦/٤٧٤ – ٤٧٧.

٤) تاريخ دمشق لابن عساكرج٦٣/٤.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بما يلي:

أولًا: قال ابن منده: "اختلف في إسلامه، وظاهر الحديث يدل على إسلامه من قوله: (يا ليتني كنت فيها جذعًا)، وما بعده".(١).

ثانيًا: قال العراقي: قال والدي – رحمه الله – في نكت ابن الصلاح: "ينبغي أن يقال إن أول من آمن من الرجال ورقة بن نوفل؛ لهذا الحديث، فإن فيه أن الوحي نزل في حياة ورقة وأنه آمن به وصدقه، وذكره في الصحابة أبو عبد الله بن منده، وقال اختلف في إسلامه قال والدي وما تقدم من الأحاديث يدل على إسلامه".(٢).

ثالثًا: عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال "لقد رأيت القس في الجنة عليه الثياب الحرير؛ لأنه آمن بي وصدقني" يعني ورقة.(٣).

الثاني: أنه من أهل الجنة، ومن كان من أهلها، فهو من الذين رضي الله عنهم؛ فلا يجوز لنا سبه، ويدل على ذلك عدة أحاديث منها:

أ – عن جابر بن عبد الله، قال: سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أبي طالب هل تنفعه نبوتك؟ قال: «نعم، أخرجته من غمرة جهنم إلى ضحضاح منها»، وسئل عن خديجة؛ لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن، فقال: «أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب»، وسئل عن ورقة بن نوفل، قال: «أصرته في بطنان الجنة عليه سندس»، وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده بيني وبين عيسى – عليهما السلام –».(٤).

---

١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ج٢/٢٨٥.

٢) طرح التثريب في شرح التقريب ج٤/١٩٧.

٣) أخرجه الآجري، كتاب الشريعة، ج٣/١٤٤١، برقم ٩٧٣، وقال السخاوي: وهو منقطع، ولكن يعتضد بمرسل جيد عن عروة بن الزبير. الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية ج٣/٨٩٨.

٤) أخرجه أبو يعلى، المسند، مسند جابر، ج٤/٤١، برقم٢٠٤٧، وحسنه الألباني، صحيح السيرة النبوية صـ٩٤.

ب – عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: "ساب أخ لورقة رجلًا، فتناول الرجل ورقة، فسبه، فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال لأخيه: "هل علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين؟ "فنهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن سبه".(١).

ج – عن عائشة، قالت: سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ورقة، فقالت له خديجة: إنه كان صدقك ولكنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «رأيته في المنام وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النار، لكان عليه لباس غير ذلك».(٢).

قال المظهري: قوله: "عليه ثياب بيض": هذا الحديث تصريح بأن ثياب البيض من لباس أهل الجنة وأهل الخير".(٣).

١) أخرجه ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥/٤١٦، برقم ١٦٩٦، وقال ابن حجر : مرسل، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٦/٤٧٧.

٢) أخرجه الحاكم وصححه، المستدرك على الصحيحين، كتاب تعبير الرؤيا، ج٤/٤٣٥، برقم ٨١٨٧، وضعفه الألباني، ضعيف سنن الترمذي، ج١/٢٥٧.

٣) المفاتيح في شرح المصابيح ج٥/١١٤.

المبحث الثالث عشر

التحذير والنهي عن سب الدهر

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».(١).

الشرح:

هذا هو النهي الحادي عشر من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بسب الدهر، فما الدهر؟ وهل هو اسم من أسماء الله – تعالى –؟ ولماذا نهينا عن سبه؟ وهل النهي عنه مقصور على لفظة الدهر أم هو عام؟

السؤال الأول: ما الدهر؟

الدهر: الزمان، ويُجمَع على دهور، قال الشاعر:

إن دهرًا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان

ويقال: الدهر: ألابد، وقولهم: دهرًا داهر، كقولهم: أبدًا أبيد، وقولهم: دهر دهارير، أي شديد، كقولهم: ليلة ليلاء، ونهار أنهر، ويوم أيوم، وساعة سوعاء.(٢).

السؤال الثاني: هل الدهر اسم من أسماء الله – تعالى –؟

اختلف العلماء في هذه المسألة، ويأتي خلافهم على قولين:

القول الأول: قال المناوي: "قال بعض الكاملين: ذهب المحققون إلى أن الدهر من أسماء الله معناه: الأزلي الأبدي، ولم يكنوا عالمين بتسمية الله به؛ فأعلمهم

---

١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، ج/١٧٦٣، برقم٢٢٤٦.

٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج٢/٦٦١.

النبي – صلى الله عليه وسلم – فوجه المنع من سبه بيّن، وفيه الأمر بالمحافظة على الأوضاع، وألا يتعدى في ذلك قانون السماع".(١).

وأجيب عن هذا:

قال العراقي: "استدل به – أي بحديث سب الدهر – بعضهم على أن الدهر من أسماء الله – تعالى – قال القاضي عياض: وذكر بعض من لا تحقيق له أن الدهر اسم من أسماء الله تعالى، وهذا جهل من قائله، وذريعة إلى مضاهاة قول الدهرية والمعطلة، ويفسره قوله في الحديث الآخر: «فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره»(٢)، فهذا هو معنى ما أشار إليه المفسرون من أن فاعل ذلك في الدهر هو الله – عز وجل –، والدهر بيده زمان الدنيا، قال بعضهم: هو أحد مفعولات الله – تعالى –، وقيل بل هو فعله كما قيل (أنا الموت)، وكما قال – تعالى – {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}(٣)، وإنما رأوا أسبابه، وقد شبه جهلة الدهرية، وكفرة المعطلة بهذا الحديث على من لا علم عنده ولا حجة لهم فيه؛ لأن الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم، ولا شيء عندهم سواه ولا صانع عند القائلين بقدم العالم منهم سواه، فإذا كان عندهم هو المراد بالله، فكيف يصرف ويقلب الشيء نفسه؟ تعالى الله عن كفرهم وضلالهم انتهى".(٤).

القول الثاني: ذهب الجمهور إلى أن الدهر ليس من أسماء الله – تعالى.(٥).

قال ابن فورك: "اعلم أن الله – تعالى – لا يجوز أن يوصف بأنه دهر، وأنه الدهر على الحقيقة، وإنما هذا مثل، وأصله أن العرب في الجاهلية كانت تقول أصابني الدهر في مالي بكذا، ونالتني قوارع الدهر ومصائبه، فيضيفون كل حادث

---

١) فيض القدير للمناوي ج٦/٤٠٣.

٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، ج/ ١٧٦٢، برقم ٢٢٤٦.

٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٣.

٤) طرح التثريب شرح التقريب للعراقي ج٨/١٥٦.

٥) شرح صحيح مسلم لأبي الأشبال حسن الزهيري ج١١/٦.

يحدث مما هو جار بقضاء الله وقدره، وخلقه وتقديره من مرض أو صحة أو غنى أو فقر أو حياة أو موت إلى الدهر، ويقولون لعن الله هذا الدهر والزمان، وكذا قال قائلهم:

(أمن المنون وريبها يتوجع، والدهر ليس بمتعب من يجزع)

وقد يسمى الدهر المنون والزمان – أيضًا –؛ لأنه جالب المنون عندهم والمنون المنية، وروى بعضهم هذا البيت:

(أمن المنون وريبه تتوجع، والدهر ليس بمتعب من يجزع)

{أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ}(١) أي ريب الدهر وحوادثه.

وكانت العرب تقول: لا ألقاك آخر المنون، أي آخر الدهر.

وقد أخبر – سبحانه – عن أهل الجاهلية بما كانوا عليه من نسبة أقدار الله وأفعاله إلى الدهر؛ فقال: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}(٢)، فقال – صلى الله عليه وسلم –: "لا تسبوا الدهر" أي إذا أصابتكم المصائب، لا تنسبوها إليه، فإن الله هو الذي أصابكم بها لا الدهر، وإنكم إذا سببتم الدهر، وفاعل ذلك ليس هو الدهر، وقع السب على فاعل ذلك وهو الله تعالى، ألا ترى أن الرجل منهم إذا أصابته جائحة من مال أو ولد أو بدن؛ سب فاعل ذلك وتوهمه الدهر، فكان المسبوب هو الله – جل ذكره–.

ومثاله في الكلام أن يكون رجلًا يسمى زيدًا، وله عبد يسمى بكر، فأمر بكرًا أن يقتل رجلًا؛ فقتله، فسب الناس بكرًا، فقال لهم قائل: لا تسبوا بكرًا، فإن زيدًا هو بكر، يريد أن زيدًا هو القاتل؛ لأن الذي أمره كأنه هو القاتل كذلك".(٣).

---

١) سورة الطور، الآية : ٣٠.

٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

٣) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك صـ ٢٧٦.

قلت (أبو هَنَّاد): المختار بلا ريب هو رأي الجمهور، وعلى كلٍ فإن الدهر سواء كان اسمًا من أسماء الله – تعالى –، أو لم يكن اسمًا من أسماء الله – تعالى – كما يقول جمهور العلماء، فلا يجوز لأحد أن يسبه؛ لأن سبه سب لله – تعالى –.

السؤال الثالث: لماذا نهينا عن سب الدهر؟

لقد نهينا عن سب الدهر؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أن سب الدهر، سب لله – تعالى – ضمنًا، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».(١).

قال الخطابي: "تأويل هذا الكلام أن العرب إنما كانوا يسبون الدهر على أنه هو الملم بهم في المصائب والمكاره، ويضيفون الفعل فيما ينالهم منها إليه، ثم يسبون فاعلها، فيكون مرجع السب في ذلك إلى الله – سبحانه – إذ هو الفاعل لها، فقيل على ذلك لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر، أي أن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر".(٢).

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: "لا يخفى أن من سب الصنعة، فقد سب صانعها، فمن سب نفس الليل والنهار، أقدم على أمر عظيم بغير معنى، ومن سب ما يجري فيهما من الحوادث، وذلك هو أغلب ما يقع من الناس، وهو الذي يعطيه سياق الحديث حيث نفى عنهما التأثير؛ فكأنه قال: لا ذنب لهما في ذلك، وأما الحوادث، فمنها: ما يجري من خلال العاقل المُكَلَّف، فهذا يضاف شرعًا ولغةً إلى الذي جرى على يديه، ويضاف إلى الله – تعالى – لكونه بتقديره، فأفعال العباد من أكسابهم، ولهذا ترتبت عليها الأحكام، وهي في الابتداء خلق الله، ومنها: ما يجري

---

١) سبق تخريجه.

٢) معالم السنن للخطابي ج٤/١٥٨، ١٥٩، وشرح النووي على مسلم ج١٥/٢.

بغير وساطة، فهو منسوب إلى قدرة القادر، وليس لليل والنهار فعل ولا تأثير لا لغةً ولا عقلًا ولا شرعًا، وهو المعني في هذا الحديث".(١).

الثاني: أن سب الدهر فيه أذية لله – تعالى – فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: قال الله – عز وجل –: "يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما".(٢).

وقد توعد الله – تعالى – من يؤذيه باللعن في الدارين، ثم بالعذاب الأليم، فقال – تعالى –: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}.(٣).

قال البغوي: "ومعنى الأذى: هو مخالفة أمر الله – تعالى – وارتكاب معاصيه، ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم، والله – عز وجل – مُنَزَّه عن أن يلحقه أذى من أحد".(٤).

وقال القرطبي: "اختلف العلماء في أذية الله بماذا تكون؟ فقال الجمهور من العلماء: معناه بالكفر، ونسبة الصاحبة، والولد، والشريك إليه، ووصفه بما لا يليق به، كما جاء مرفوعًا عن أبي هريرة: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار) أخرجه مسلم".(٥).

وقال العراقي: "قوله: «يؤذيني ابن آدم» قال المازري: هو مجاز والبارئ – تعالى – لا يتأذى من شيء، فيحمل أن يريد أن هذا عندكم إذًا؛ لأن الإنسان إذا

---

١) فتح الباري لابن حجر ج١٠/٥٦٦.

٢) سبق تخريجه.

٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

٤) تفسير البغوي ج٦/٣٧٦.

٥) تفسير القرطبي ج١٤/٢٣٧، ٢٣٨. بتصرف قليل.

أحب آخر، لم يصح أن يسبه، لعلمه أن السب يؤذيه، والمحبة تمنع من الأذى، ومن فعل ما يكرهه المحبوب، فكأنه قال: يفعل ما أنهاه عنه وما يخالفني فيه، والمخالفة فيها أذى فيما بينكم، فتجوز فيها في حق البارئ – سبحانه – انتهى.

وأحسن النووي التعبير عن ذلك مختصرًا بقوله: معناه يعاملني معاملة توجب الأذى في حقكم".(١).

السؤال الثالث: هل النهي عن السب مقصور على لفظة الدهر أم هو عام؟

قال العراقي: "والدهر والزمان والأبد كلها بمعنى واحد، وهو راجع إلى حركات الفلك وهي الليل والنهار".(٢).

وقال القرطبي – أيضًا –:" ليس هذا النهي مقصورًا على هذه اللفظة، بل يلتحق به كل ما في معناه من قولهم: خرق الفلك، وانعكس الدهر وتعس، وما في معنى ذلك ".(٣).

١) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي ج١٥٧/٨.
٢) المرجع السابق ج١٥٦/٨.
٣) المرجع السابق .

المبحث الرابع عشر

التحذير والنهي عن سب الريح

عن أُبَيّ بن كعب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ".(١).

الشرح:

هذا هو النهي الثاني عشر من التحذيرات والنواهي النبوية عن السِّبَابِ، وفي هذا النهي، ينهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سب مخلوق من مخلوقات الله – تعالى – ألا وهي الريح، فما الريح المنهي عن سبها؟ ولماذا نهينا عن سبها؟ وهل هناك فرق بين الريح والرياح؟

السؤال الأول: ما الريح المنهي عن سبها؟

من خلال النظر في الحديث المتقدم، يتضح أن النهي عن سب الريح نهي عام، شامل لكل أنواع الريح، ولبيان أنواع الريح أقول:

قال أبو البقاء الدَّمِيري الشافعي: "والرياح أربع: التي من تجاه الكعبة: الصبا، ومن ورائها: الدبور، ومن جهة يمينها: الجنوب، ومن جهة شمالها: الشمال – بفتح الشين – وفيها خمس لغات، ولكل من هذه الرياح طبع ونفع كفصول السنة، فـ (الصبا): حارة يابسة، و(الدبور): رطبة باردة، و(الجنوب): حارة رطبة وهي (الأزيب)، وفي الحديث: (اسمها عند الله: الأزيب، وعندكم الجنوب)(٢)، وأهل مكة

---

١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، السنن، أبواب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح، ج٤/٥٢١، برقم ٢٢٥٢، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٦/٥٩٨.

٢) رواه البيهقي، السنن الكبرى، برقم ٦٤٨٩، وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف؟ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ج٦/١٦٧، ونص الرواية عن أبي ذر، يبلغ به النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن الله –

يستعملون هذا الاسم كثيرًا، و(الشمال): باردة يابسة، وهي: ريح الجنة التي تهب عليهم.

روى مسلم عن أنس – رضي الله عنه –: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن في الجنة لسوق، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم، والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا"(١)، وهذه الريح هي المثيرة؛ لأنها تثير في وجوههم نضرة النعيم".(٢).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب الريح؟

لقد نهينا عن سب الريح أو الرياح؛ لأسباب منها:

الأول: أن الريح من نَفَسِ وروح الله – تعالى –، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تسبوا الريح، فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شرها".(٣).

وعن أُبَي بن كعب، قال: "لا تسبوا الريح، فإنها من نفس الرحمن، قوله – تعالى –: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}(٤)، ولكن قولوا:

عز وجل – خلق في الجنة ريحًا بعد الريح بسبع سنين، من دونها باب مغلق، وإنما تأتيكم الروح من خلال ذلك الباب، ولو فتح ذلك الباب لأدرت ما بين السماء والأرض من شيء، وهي عند الله الأزيب، وهي عندكم الجنوب".

١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال، ج٤/٢١٧٨، برقم ٢٨٣٣.

٢) النجم الوهاج في شرح المنهاج ج٢/٥٨٥.

٣) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح، ج٢/١٢٢٨، برقم ٣٧٢٧، وقال الساعاتي: رجاله ثقات، الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ج١٩/٣٣٢.

٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به".(١).

قال السندي: "قوله: فإنها من روح الله، قيل: الروح النفس والفرج والرحمة، فإن قيل: كيف يكون الريح من رحمته مع أنها تجيء بالعذاب، قلت: إذا كان عذابًا للظلمة، فيكون رحمة للمؤمنين، وأيضًا الروح بمعنى الرائح، أي الجائي من حضرة الله بأمره تارة للكرامة، وأخرى للعذاب؛ فلا يعيب، فإنه تأديب والتأديب حسن".(٢).

وقال البغوي: "قوله: «من روح الله» أي: من رحمته، ومنه قوله - سبحانه وتعالى -: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ}(٣)، أي: من رحمته، وقيل في قوله - عز وجل -: {وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ}(٤)، أي: برحمة".(٥).

الثاني: أننا مأمورون بالدعاء عند رؤيتها لا بسببها، فعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقلوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به".(٦).

وهذا ما فعله الصحابة - رضوان الله عليهم -، وأمروا به غيرهم، ومن ذلك ما يلي:

---

١) رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي على شرط البخاري، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، ج٢/٢٩٨، برقم ٣٠٧٥.

٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه ج٢/٤٠٤.

٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

٥) شرح السنة للبغوي ٤/٣٩٣.

٦) سبق تخريجه.

أ – عن أبي جعفر، قال: كان علي – رضي الله عنه – إذا هبت الريح، قال: «اللهم إن كنت أرسلتها رحمة، فارحمني فيمن ترحم، وإن كنت أرسلتها عذابًا، فعافني فيمن تعافي».(١).

ب – عن ابن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، قال: هاجت الريح على عهد أبي، فسبها إنسان، فقال أبي: "لا تسبوا الريح، ولكن قلوا: نسأل الله خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، ونتعوذ بالله من شرها وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به.(٢).

ج – عن مجاهد، قال: هاجت ريح أو هبت ريح فسبوها، فقال ابن عباس: "لا تسبوها، فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب، ولكن قلوا: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا ".(٣).

د – عن مجزأة بن زاهر، قال: "خرج ابن مسعود من المسجد، فاستقبلته ريح شديدة، فسبها رجل من القوم، فقال ابن مسعود: لا تسبوا الريح، فإنها بِشْرٌ، وَنُذْرٌ، ولواقح، ولكن استعذوا بالله من شر ما أرسلت به".(٤).

هـ – عن جعفر، عن أبيه، قال: كان ابن عمر إذا عصفت الريح، فدارت، يقول: «شدوا التكبير، فإنها مذهبته».(٥).

الثالث: أن الريح لا دخل لها فيما يجري؛ لأنها مأمورة، فعن أبي بن كعب أن الريح هاجت على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسبها رجل، وفي رواية "إن رجلًا نازعته الريح رداءه على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فلعنها"(٦)،

---

١) رواه ابن أبي الدنيا، المطر والرعد والبرق، باب في الريح، صـ ١٦١، برقم ١٧٠.

٢) أخرجه البيهقي، شعب الإيمان، حفظ اللسان، ج٧/١٨٩، برقم ٤٨٦٣.

٣) رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الدعاء، ما يدعى به للريح إذا هبت؟، ج٦/٢٧، برقم ٢٩٢٢٠.

٤) رواه ابن أبي الدنيا، المطر والرعد والبرق، باب في الريح، صـ ١٥٤، برقم ١٥٤.

٥) رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الدعاء، ما يدعى به للريح إذا هبت؟، ج٦/٢٨، برقم ٢٩٢٢١.

٦) رواه أبو داود، سنن أبي داود، أول كتاب الأدل، باب النهي عن اللعن، ج٧/٢٧٠، برقم ٤٩٠٨، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢/٦٢.

فقال: "لا تسبها، فإنها مأمورة، ولكن قل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به".(١).

قال الهروي: "(فإنها مأمورة)، أي: بأمر ما، أو المنازعة من خاصيتها ولوازم وجودها عادة، أو فإنها مأمورة حتى هذه المنازعة – أيضًا – ابتلاء لعباده وهو الأظهر".(٢).

وقال السهارنفوري: "(فإنها مأمورة) يعني أنها تهب بأمر الله – سبحانه وتعالى –، فهي ليست أهلًا للعن".(٣).

الرابع: أن من لعن الريح، عاد اللعن عليه، فعن ابن عباس: أن رجلًا لعن الريح – وقال مسلم: إن رجلًا نازعته الريح رداءه على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فلعنها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: لا تلعنها فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل، رجعت اللعنة عليه".(٤).

قال ابن رسلان: "(رجعت اللعنة عليه) بتعديه بلعنه ما لا يستحق، وفي الحديث: "ما لعن أحد الأرض إلا قالت: لعن الله أعصانا لربه".(٥).

ولذلك لما علم الصحابة – رضوان الله عليهم – ذلك أخذوا حذرهم، فعن رجل يكنى أبا عمير، أنه كان صديقًا لعبد الله بن مسعود، وإن عبد الله بن مسعود، زاره في أهله، فلم يجده، قال: فاستأذن على أهله، وسلم، فاستسقى، قال: فبعثت الجارية تجيئه بشراب من الجيران، فأبطأت، فلعنتها، فخرج عبد الله، فجاء أبو عمير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، ليس مثلك يغار عليه، هلا سلمت على أهل أخيك،

---

١) أخرجه عبد بن حميد، المنتخب من مسند عبد بن حميد، ج١/١٧٨، برقم ١٦٧، وصححه المحقق.

٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٧/ ٣٠٤٦.

٣) بذل المجمهود شرح سنن أبي داود للسهارنفوري ج١٣/ ٣١٨.

٤) سبق تخريجه قريبًا.

٥) أثر موقوف على أبي الدرداء، رواه البيهقي، شعب الإيمان، حفظ اللسان، ج٧/١٦٣، برقم ٤٨٢٣. ينظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان ج١٨/٦٦١.

وجلست وأصبت من الشراب؟ قال: قد فعلت، فأرسلت الخادم، فأبطأت، إما لم يكن عندهم، وإما رغبوا فيما عندهم، فأبطأت الخادم، فلعنتها، وسمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، يقول: "إن اللعنة إذا وجهت إلى من وجهت إليه، فإن أصابت عليه سبيلًا، أو وجدت فيه مسلكًا، وإلا قالت: يا رب، وجهت إلى فلان، فلم أجد عليه سبيلًا، ولم أجد فيه مسلكًا، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت"، فخشيت أن تكون الخادم معذورة، فترجع اللعنة، فأكون سببها".(١).

الخامس: أن من سب الريح قد يبتليه الله بالفقر، فعن محمد بن عباس قال: شكا رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – الفقر فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لعلك تسب الريح».(٢).

قال الدميري: "وكأن السبب في ذلك: أنها لما كانت سبب المطر، والمطر سبب الرزق، فمن سبها؛ منع الرزق بذلك".(٣).

السادس: أن الريح فيها خير للناس، فعن مطرف، عن كعب؛ قال: لو حبس الله – عز وجل – الريح ثلاثًا؛ لأنتن ما بين السماء والأرض".(٤).

السؤال الثالث: هل هناك فرق بين الريح والرياح؟

اختلفت العلماء في هذا، ويمكن أن نجمل خلافهم في قولين:

القول الأول: ذهب أصحابه ومنهم ابن عباس، وأبو عبيد، والسيوطي إلى أنها إذا كانت مجموعة فهي غالبًا للرحمة، وإذا كانت مفردة فهي للعذاب.(٥).

---

١) رواه أحمد، المسند، مسند عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – ج٦/٤٢٠، برقم ٣٨٧٦، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: محتمل للتحسين، وقال الألباني: إسناده جيد.صحيح الترغيب والترهيب ج٣/ ٦١.

٢) رواه البيهقي، معرفة السنن والآثار، كتاب الاستسقاء، القول والإنصات عند السحاب والريح، ج٥/١٩٠، برقم ٧٢٥٠، وقال النووي: حديث منقطع، الأذكار، صـ ١٨٠.

٣) النجم الوهاج في شرح المنهاج ج٢/٥٨٥.

٤) رواه الدينوري، المجالس وجواهر العلم، ج٦/٢٩٠، برقم ٢٦٥٢، وضعفه المحقق.

٥) الإتقان في علوم القرآن ج٢/٣٥٦، وتحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ج١/٤١٢، وسبل السلام ج١/٤٤٦.

ومجمَل أدلتهم ما يلي:

١ – عن عكرمة، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: ما هبت ريح قط إلا جثا النبي – صلى الله عليه وسلم – على ركبتيه، وقال: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا، اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا»، قال ابن عباس في كتاب الله – تعالى –: {أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا}(١)، و{أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ}(٢)، وقال: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}(٣)، و{يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ}. (٤).

وأجيب عن هذا من وجهين:

الأول: أن هذا الحديث لا يثبت، فقد قال المناوي: "رواه الشافعي قال: أخبرني من لا أتهمه عن العلاء بن راشد، عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا نحوه، ومن طريقه البيهقي في الدعوات قال الحافظ بن حجر: وهذا المبهم هو إبراهيم بن أبي يحيى، وهو ضعيف".(٥).

الثاني: أنه صح عن ابن عباس خلافه فقال مجاهد: هاجت ريح، فَسَبُّوها. فقال ابن عباس: "لا تسبوها، فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب، ولكن قلوا: اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذابًا".(٦).

٢ – عن أبي بن كعب قال: "كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب".(٧).

---

١) سورة القمر، الآية : ١٩.
٢) سورة الذاريات ، الآية : ٤١.
٣) سورة الحجر، الآية : ٢٢.
٤) سورة الروم، الآية : ٤٦. رواه الشافعي، مسند الشافعي، كتاب الصلاة، الباب السادس عشر في الدعاء،ج١/١٧٥، برقم ٥٠٢، وحسنه ابن الأثير والصنعاني،، الشافي في شرح مسند الشافعي ج٢/٣٥١، والتنوير شرح الجامع الصغير ج٨/٤٥٨.
٥) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي ج٢/٩٠٥.
٦) رواه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الدعاء، ما يدعي للريح به إذا هبت، ج٦/٢٧، برقم ٢٩٢٢٠، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١٢/٢٢٣.
٧) رواه ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، قوله عز وجل: {وتصريف الرياح} ، ج١/٢٧٥، برقم ١٤٧٥.

القول الثاني: ذهب أصحابه إلى أن الرياح لا تكون إلا في الرحمة، وأما الريح، فتكون في الرحمة أو العذاب.(١).

واستدلوا على ذلك بما يلي:

١ – قال الله – تعالى –: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ}.(٢).

قال الطحاوي: "كانت الريح الطيبة من الله رحمة، والريح العاصف منه – عز وجل عذابًا – ففي ذلك ما قد دل على انتفاء ما رواه أبو عبيد".(٣).

وأجيب عن هذا:

قال السيوطي: "فكانت في الرحمة رياحًا، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد، ولا معارض لها ولا دافع، وقد خرج عن هذه القاعدة قوله – تعالى – في سورة يونس: {وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} وذلك لوجهين: لفظي وهو المقابلة في قوله: {جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ} ورب شيء يجوز في المقابلة، ولا يجوز استقلالًا نحو: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}(٤)، ومعنوي، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح، كان سبب الهلاك، والمطلوب هنا ريح واحد، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيب، وعلى ذلك – أيضًا – جرى قوله: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ}.(٥).

---

١) ينظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ج٢٢٢/١٢، وشرح مشكل الآثار للطحاوي ج٣٧٩/٢.

٢) سورة يونس ، الآية : ٢٢.

٣) شرح مشكل الآثار للطحاوي ج٣٧٩/٢.

٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

٥) سورة الشورى، الآية : ٣٣. ينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٣٥٦/٢، ٣٥٧.

٢ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حاج فاشتدت عليهم، فقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لمن حوله: ما الريح؟ لم يرجعوا إليه شيئًا، فبلغني الذي سأل عنه عمر فاستحثثت راحلتي حتى أدركته فقلت: يا أمير المؤمنين، أخبرت أنك سألت عن الريح، وإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «الريح من روح الله – تعالى – تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فلا تسبوها سلوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها».(١).

٣ – عن عائشة، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – أنها قالت: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا عصفت الريح، قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»، قالت: وإذا تخيلت السماء، تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته، فقال: "لعله، يا عائشة كما قال قوم عاد: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ}".(٢).

٤ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «نُصِرت بالصبا، وأُهلِكت عاد بالدبور».(٣).

قال الطحاوي: "وفي جميع ما روينا أن الريح قد تأتي بالرحمة، وقد تأتي بالعذاب، وأنه لا فرق بينهما لا في الرحمة، والعذاب، وأنها ريح واحدة لا رياح، وكان

---

١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، كتاب الأدب، ج٣١٨/٤، برقم ٧٧٦٩.

٢) سورة الأحقاف، الآية : ٢٤. رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، ج٦١٦/٢، برقم ٨٩٩.

٣) متفق عليه، رواه البخاري، صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا، ج٣٣/٢، برقم ١٠٣٥، و رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، ج٦١٦/٢، برقم ٩٠٠.

فيما رويناه عن ابن عباس، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه نُصِر بالصبا، وهي ريح واحدة، وأن عادا أُهلِكت بالدبور، وهي ريح واحدة، وفي ذلك ما قد دل على ما ذكرنا".(١).

٥ – عن جابر . رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الليل والنهار، ولا الشمس، ولا القمر، ولا الريح، فإنها رحمة لقوم، وعذاب لآخرين».(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): "فهذا الحديث ذكر الريح، وهي مفردة في الرحمة والعذاب.

فيتضح مما سبق أن الرأي الذي تميل إليه النفوس هو الرأي الثاني، الذي ذهب أصحابه إلى أن الرياح لا تكون إلا في الرحمة، وأما الريح، فتكون في الرحمة أو العذاب؛ وذلك لقوة أدلتهم.

وعلى كلٍ، فسواء كان القول الأرجح هو الأول أو الثاني، فلا يجوز لنا سبها مفردة كانت الريح أو مجموعة. والله أعلم.

---

١) شرح مشكل الآثار للطحاوي ج٢/٣٨٥، ٣٨٦.

٢) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب العين، ج٥/٧٠، برقم ٤٦٩٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد بن بشير، وثقه جماعة وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨/٧١ ، وضعفه البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة ج٦/٦٣.

المبحث الخامس عشر

التحذير والنهي عن سب الحمى

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟»(١) قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».(٢).

الشرح:

هذا هو النهي الثالث عشر من التحذيرات، والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بسب مرض من الأمرض التي تصيب الإنسان، ألا وهو مرض الحمى، فما الحمى؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ وما كنيتها؟ ولماذا نهينا عن سبها؟ فأقول:

السؤال الأول: ما الحمى؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ وما كنيتها؟

الحمى والحمة: علة يستحر بها الجسم، من الحميم.

قيل: سميت لما فيها من الحرارة المفرطة، ومنه الحديث: "الحمى من فيح جهنم"(٣)، وإما لما يعرض فيها من الحميم وهو العرق، أو لكونها من أمارات الحمام لقولهم: الحمى رائد الموت أو بريد الموت، وقيل: باب الموت، وحم الرجل، بالضم: أصابته الحمى، وأحمه الله – تعالى – فهو محموم، وهو من الشواذ، قاله الجوهري.(٤).

---

١) زفزف فيه، وهي تزفزف من الحمى، أي ترتعد من البرد. مجمع بحار الأنوار ج٢/ ٤٢٧.

٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ج٤/١٩٩٣، برقم ٢٥٧٥.

٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة "، ج٤/١٢٠، برقم ٣٢٦١، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ج٤/١٧٣١، برقم ٢٢٠٩.

٤) تاج العروس من جواهر القاموس ج٣٢/١٧، ١٨.

وأما كنيتها، فالناظر في كتب اللغويين يجد أنهم ذكروا لها كنى ومسميات كثيرة وهي: (أم ملدم، وأم ملذم، ورائد الموت، وأم الهبرزي، وأم كلبة).

قال الأصبهاني: أم ملدم: كنية الحمى، سميت به؛ من قولهم: ثوب ملدم: أي خلق مرقع؛ لأنها تخلق البدن وتوهنه.

وذكر بعض أهل اللغة: أن أم ملدم خطأ، وإنما هو بالذال المعجمة. واللذم: اللزوم.(١).

وقال السرقسطي: وقال غير يعقوب: سميت أم ملدم من اللدم، وهو ضرب المرأة صدرها على الهالك، يريد أن الحمى تودي إلى ذلك، كما يقال لها: رائد الموت، ويقال رجل ملدم، وهو الثقيل الكثير اللحم الأحمق، قال حجية:

فلا تحسبني ملدمًا إذ نكحته..ولكنني حجية بن المضرب.(٢).

وجاء في المعجم الوسيط: (الهبرزي) الأسد، والجلد النافذ، والمقدام في كل شيء، والأسوار من أساورة الفرس، والذهب الخالص، والدينار الجديد، وكل شيء جميل وسيم، يقال رجل هبرزي وخف هبرزي جيد، و (أمُّ الهِبْرِزِيِّ) الحمى.(٣).

وقال ابن فارس: "وأم كلبة: الحمى، ففيه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لزيد الخيل: «أبرح فتى إن نجا من أم كلبة».(٤).

وقال محمد بن يوسف الشامي: "ويُحتَمَل أن تكون أم كلبة مغيّرة عن كُلْبَةَ بضم الكاف، أي شدة الرّعدة، وكلب البرد شديده، وأمّ كلبة بالهاء هي الحمّى".(٥).

---

١) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ج١٢١/٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر ج٤/ ٢٤٦.

٢) الدلائل في غريب الحديث ج٢٣٧/١.

٣) المعجم الوسيط ج٢/ ٩٦٩، وتهذيب اللغة ج٩٥/١٤.

٤) روى نحوه ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٥٧٧/٢ ، ٥٧٨. مقاييس اللغة ج٢٤/١.

٥) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد ج٣٦٠/٦.

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب الحمى؟

لقد نهينا عن سب الحمى؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أن الحمى تنقي الإنسان من الذنوب والخطايا، كما ينقى الحديد من خبثه إذا أُدخِل النار، فينبغي أن تشكر لا أن تسب وتذم، ومما يدل على ذلك أحاديث منها:

أولها: عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: «ما لكِ؟ يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟» قالت: الحمى، لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تُذهِب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد».(١).

قال أبو العباس القرطبي: "(قوله: فإنَّها تُذهِب خطايا بني آدم) هذا تعليل لمنع سب الحمى لما يكون عنها من الثواب، فيتعدى ذلك لكل مشقة، أو شدة يرتجى عليها ثواب، فلا ينبغي أن يذم شيء من ذلك، ولا يسب، وحكمة ذلك: أن سب ذلك إنما يصدر في الغالب عن الضجر، وضعف الصبر، أو عدمه، وربما يفضي بصاحبه إلى السخط المحرم، مع أنه لا يفيد ذلك فائدة، ولا يخفف ألمًا".(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): كيف نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – أم السائب عن سب الحمى، مع أنها دعت عليها بقولها "لا بارك الله فيها"، ولم تسبها؟

قال البكري: "(لا تسبي الحمى) أي: فإن الدعاء عليها ملازم لتنقيصها وتحقيرها، الذي به يكون السب، ففي الحديث استعارة مصرحة تبعية، وعلل النهي بقوله (فإنها تذهب خطايا بني آدم) أي: الصغائر المتعلقة بحق الله – تعالى –، فالخطايا في الحديث عام مخصوص".(٣).

---

١) سبق تخريجه.

٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج٦/٥٤٨، ٥٤٩.

٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج٨/٥٤٤.

وقال الدكتور لاشين: "(لا تسبي الحمى، فإنها تُذهِب خطايا بني آدم) اعتبر الدعاء عليها سبًا لها".(١).

ثانيها: عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دخل على رجل يعوده، فقال: «لا بأس طهور إن شاء الله» فقال: كلا، بل حمى تفور، على شيخ كبير، كيما تزيره القبور، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «فنعم إذًا».(٢).

وفي رواية عن عقبة بن عبد الرحمن بن شرحبيل الجعفي، عن أبيه، عن جده قال: أتى أعرابي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو ينتفض فقال: يا رسول الله، حمى تفور على شيخ كبير كي تزيره القبور، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «بل حمى تفور على شيخ كبير هي له كفارة وطهارة وطهور»، قال: فأعاد الأعرابي قوله الأول، فأعاد النبي – صلى الله عليه وسلم – مثل ما قال له. قال: فلما كان في الثالثة أو الرابعة قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أما إذا أبيت، فهو كما تقول وما قضى الله من أمر فهو كائن» قال: فما أمسى الرجل من غد إلا ميتًا.(٣).

قال الهروي: "قوله: «لا بأس، طهور»، أي: لا مشقة ولا تعب عليك من هذا المرض بالحقيقة؛ لأنه مطهرك من الذنوب".(٤).

وقال الطيبي: قوله: (فنعم إذًا) تقرير لما قال، يعني أرشدتك بقولي: لا بأس عليك، إلى أن الحمى تطهرك، وتنفي ذنوبك، فاصبر، واشكر الله عليهما، فأبيت إلا اليأس، والكفران، فكان كما زعمت، وما اكتفيت بذلك، بل رددت نعمة الله، وأنت مسجع به، قاله غضبًا عليه.(٥).

---

١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج١٠/٤١.
٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما يقال للمريض، ج٧/١١٨، برقم ٥٦٦٢.
٣) رواه الدولابي، الكنى والأسماء، ج١/٢٤٩، برقم ٤٤٣.
٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٣/١١٢٣.
٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٤/١٣٣٤.

الثاني: أن من دخل بدنه الحمى، فلن يدخل بدنه النار، وإن دخل؛ فإن الله – تعالى – يخفف عنه؛ لأنها من فيح جهنم، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١ – عن ابن عمر – رضي الله عنهما –، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».(١).

٢ – عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: «الحمى كير من جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار».(٢).

قال المناوي: (الحمى كير من جهنم) أي نار جهنم، فإذا ذاق لهيبها في الدنيا، لا يذوق لهب جهنم في الأخرى، قال العراقي: إنما جعلت حظه من النار؛ لما فيها من الحر، والبرد المغير للجسم، وهذه صفة جهنم، فهي تكفر الذنوب؛ فتمنعه دخول النار".(٣).

٣ – عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، أنه عاد مريضًا – ومعه أبو هريرة – من وعك كان به، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أبشر، فإن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا؛ لتكون حظه من النار في الآخرة".(٤).

قال الهروي: "لتكون أي: الحمى، حظه أي: نصيبه بدلًا من النار: مما اقترف من الذنوب المجعولة له يوم القيامة: ويُحتَمَل أنها نصيبه من الحتم المقضي

---

١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، ج١٢١/٤، برقم ٣٢٦٤، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ج١٧٣١/٤، برقم ٢٢٠٩.

٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير، باب الصاد، ج٩٣/٨، برقم ٧٤٦٨، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ج٣٤٥/٣.

٣) فيض القدير للمناوي ج٤٢٠/٣.

٤) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبواب الطب، باب الحمى من فيح جهنم، فابردوها بالماء، ج٥٢١/٤، برقم ٣٤٧٠، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله موثقون، مصباح الزجاجة في زوائد بن ماجه ج٦١/٤.

عليه في قوله- تعالى -: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا}(١) قال الطيبي: والأول هو الظاهر، وعندي أن الثاني هو الظاهر".(٢).

٤ – عن أبي هريرة قال: جاء أعرابي، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «هل أخذتك أم ملدم؟» قال: وما أم ملدم؟ قال: «حر بين الجلد واللحم»، قال: لا، قال: «فهل صُدِعت؟» قال: وما الصداع؟ قال: «ريح تعترض في الرأس، تضرب العروق»، قال: لا، قال: فلما قام قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل النار» أي: فلينظره".(٣).

قال الساعاتي: "أم ملدم" هي كنية الحمى، والميم الأولى مكسورة زائدة، والدمت عليه الحمى، أي دامت، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة ".(٤).

الثالث: أن المرء ينبغي له أن يدعو الله – تعالى – عند إصابته بها، أو أن يتداوى منها إن أراد ذلك، لا أن يسبها، وقد جاء في التداوي منها أحاديث صحيحة، وأما الدعاء عند الإصابة بها، فقد جاء فيه حديثان في إسناد كل منهما ضعف، وهما: **الأول:** عن أنس بن مالك، قال: "دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على عائشة – رضي الله عنها – وهي موعوكة، فقال: مالي أراك هكذا، فقالت: بأبي وأمي هذه الحمى وسبتها، فقال: لا تسبيها، فإنها مأمورة، ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا تلوتهم أذهبها الله – تعالى – عنك، قالت: فعلمني، قال: قولي: اللهم ارحم جلدي الرقيق، وعظمي الدقيق من شدة الحريق، يا أم ملدم، إن كنتِ آمنتِ بالله

---

١) سورة مريم ، الآية : ٧١.

٢) مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح ج٣/١١٥١.

٣) رواه البخاري، الأدب المفرد، باب كفارة المريض، صـ ١٧٤، برقم ٤٩٥، وصححه الألباني، صحيح الأدب المفرد للألباني صـ ١٨٦.

٤) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه بلوغ الأماني للساعاتي ج١٩/١٣٤.

العظيم، فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم، ولا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، وتحولي مني إلى من اتخذ مع الله إلهًا آخر، قال: فقالتها، فذهبت عنها".(١).

قال الزرقاني: "وقد جرب ذلك، فليس تأثير هذا الدعاء خاصًّا بعائشة".(٢).

الثاني: عن ثوبان، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إذا أصاب أحدكم الحمى، وإن الحمى قطعة من النار، فليطفها عنه بالماء البارد، وليستقبل نهرًا جاريًا يستقبل جرية الماء فيقول: باسم الله. اللهم اشفِ عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، فيغتمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام، فإن لم يبرأ في ثلاث فخمس، فإن لم يبرأ في خمس فسبع، فإن لم يبرأ في سبع فتسع؛ فإنه لا يكاد يجاوز التسع بإذن الله".(٣).

قلت (أبو هَنَّاد): ولكن يشهد للتداوي منها بإبرادها بالماء، حديث ابن عمر المتفق عليه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».(٤).

قال ابن الملك: "فأبردوها بالماء"، فإن الماء البارد ينفع المحموم في الحميات الحارة شربًا ووضعًا للأطراف؛ لأن الماء للطافته يصل إلى أماكن العلة، فيدفع حرارتها".(٥).

واعترض على هذا:

---

١) رواه البيهقي، دلائل النبوة، جماع أبواب دعوات نبينا صلى الله عليه وسلم المستجابة، باب ما جاء في تعليمه عائشة رضي الله عنها دعاء الحمى فقالته فذهبت، ج٦/ ١٦٩، ولم يعلق عليه بشيء، وضعفه بعض المحققين، ينظر هامش المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ج٣/٥٣.

٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج٩/ ٤٥٨.

٣) رواه أحمد، المسند، تتمة مسند الأنصار، ج٣٧/ ١٠٣، برقم ٢٢٤٢٥، وضعفه المحقق شعيب الأرنؤوط وآخرون، وقال ابن حجر: وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه. فتح الباري لابن حجر ج١٠/ ١٧٦.

٤) سبق تخريجه.

٥) شرح المصابيح لابن الملك ج٥/ ٩٦.

قال ابن الجوزي: "فإن قيل: فنحن نجد علماء الطب يُمنَعون من اغتسال المحموم، ويقولون: لا يجوز مقابلة الأشياء بأضدادها بغتة، والرسول – عليه السلام – لا يقول إلا حكمة وحقًا، وقد ذكر عن بعض من ينسب إلى العلم أنه حم فاغتسل، فاختفت الحرارة في بدنه، فزاد مرضه، فأخرجه الأمر إلى أشياء أحسنها التكذيب بالحديث.

وأجيب عن هذا:

قال ابن الجوزي: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – إنما خاطب بهذا أقوامًا كانوا يعتادون مثل هذا في مثل تلك الأرض، والطب ينقسم: فشيء منه بالقياس كطب اليونانيين، وشيء منه تجارب كطب العرب، والعرب تستشفي بأشياء لا توافق غيرهم، وقد قال أبو سليمان الخطابي: تبريد الحميات الصفراوية بسقي الماء البارد، ووضع أطراف المحموم فيه من أنفع العلاج، وأسرعه إلى إطفاء نارها، وعلى هذا الوجه، أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتبريد الحمى بالماء دون الانغماس فيه، قال: وبلغني عن ابن الأنباري أنه كان يقول: معنى قوله: "فأبردوها بالماء" أي تصدقوا بالماء عن المريض، يشفه الله – عز وجل –؛ لما روي أن "أفضل الصدقة سقي الماء" (١)، قلت: هذا كله تكلف في الجواب، يرده ما سيأتي في مسند أسماء بنت أبي بكر: أنها كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها، أخذت الماء فصبته بينها وبين جيبها، وقالت كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأمرنا أن نبردها بالماء".(٢).

الرابع: أن الحمى تنفع البدن نفعًا شديدًا، قال الصنعاني: ولها منافع بدنية ومآثر سنية فإنها تنقي البدن وتنقي عنه العفن، رب سُقم أزلي ومرض عولج منه

---

١) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الوصايا، الاختلاف على سفيان، ج٦/١٦٦، برقم ٦٤٥٨، وحسنه الألباني، صحيح وضعيف سنن النسائي ج٨/ ٢٣٦.

٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم، ج٧/١٢٩، برقم ٥٧٢٤. ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ج٢/ ١٨٥ ، ١٨٦.

زمانًا، وهو ممتلئ فلما طرأت عليه، أبرأته، فإذا هو منجلٍ كما قيل: وربما صحت الأجسام بالعلل، وذكروا أنها تفتح كثيرًا من السدد، وتنضح من الأخلاط والمواد ما فسد، وينفع من الفالج واللقوة والتشنج والامتلائي والرمد.(١).

قلت (أبو هَنَّاد): لما كان أجر الحمى ما سبق بيانه، لم يسلم بدن نبينا – صلى الله عليه وسلم – منها، وآثرها الصحابة – رضوان الله عليهم – على الصحة والعافية، ومما يدل على ذلك ما يلي:

أ – عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: دخلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يحم فوضعت يدي عليه فقلت: يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أشد حماك، وإنك لتوعك وعكًا شديدًا، فقال: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، إنه ليس من عبد مؤمن ولا أمة مؤمنة يمرض مرضًا إلا حط الله عنه كما يحت أو تحت عن الشجرة ورقها».(٢).

قال المظهري: "قوله: "أوعك" على بناء المجهول، همزته لنفس المتكلم؛ أي: يأخذني الوعك، وهو الحمى، وقوله: "كما يوعك رجلان"؛ أي: ألم وعكي مثلًا ألم وعك كل واحد منكم، وهذا الحديث يدل على أن المرض إذا كان أشد، يكون الأجر أكثر".(٣).

ب – عن جابر، قال: استأذنت الحمى على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "من هذه؟" قالت: أم ملدم، قال: فأمر بها إلى أهل قباء، فلقوا منها ما يعلم الله، فأتوه، فشكوا ذلك إليه، فقال: "ما شئتم؟ إن شئتم أن أدعو الله لكم، فيكشفها عنكم،

---

١) التيسير شرح الجامع الصغير ج٥/٤٣٦.

٢) رواه البخاري ومسلم والبزار واللفظ له، صحيح البخاري، كتاب المرضي، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ج٧/١١٥، برقم ٥٦٤٨، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ج٤/١٩٩١، برقم ٢٥٧١ ، ومسند البزار، مسند عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – ج٥/٣١٥، برقم ١٩٣٣.

٣) المفاتيح في شرح المصابيح ج٢/٣٩٥.

وإن شئتم أن تكون لكم طهورًا"، قالوا: يا رسول الله، أوتفعل؟ قال: "نعم"، قالوا: فدعها".(١).

قال ابن حجر: "ووجه الدلالة منه، أنه لم يؤاخذهم بشكواهم، ووعدهم بأنها طهور لهم".(٢).

ج – عن أبي بن كعب – رضي الله عنه – أنه قال: يا رسول الله، ما جزاء الحمى؟ قال: «تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق» قال أبي: «اللهم إني أسألك حمى لا تمنعني خروجًا في سبيلك، ولا خروجًا إلى بيتك، ولا مسجد نبيك» قال: فلم يمس أبي قط إلا وبه حمى".(٣).

د – عن عطاء، عن أبي هريرة قال: ما من مرض يصيبني أحب إلي من الحمى؛ لأنها تدخل في كل عضو مني، وأن الله – عز وجل – يعطي كل عضو قسطه من الأجر".(٤).

قال ابن حجر: "وممن جاء عنه أن المريض يُكتَب له الأجر بمرضه أبو هريرة – ثم ذكر أثره وقال –: ومثل هذا لا يقوله أبو هريرة برأيه".(٥).

هـ – عن الحسن، قال: كانوا يرجون في حمى ليلة كفارة لما مضى من الذنوب".(٦).

---

١) رواه أحمد، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – ج٢٢/٢٨٧، برقم ١٤٣٩٣، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح. مجمع الزوائد ج٢/٣٠٦.

٢) فتح الباري لابن حجر ج١٠/ ١١٠.

٣) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، باب الألف، ج١/٢٠٠، برقم ٥٤٠، وحسنه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ج٣/٣٤٤.

٤) رواه البخاري، الأدب المفرد، باب كفارة المريض، صـ ١٧٧، برقم ٥٠٣، وصححه ابن حجر، فتح الباري لابن حجر ج١٠/١١٠.

٥) فتح الباري لابن حجر ج١٠/ ١١٠.

٦) رواه ابن أبي الدنيا، المرض والكفارات، صـ ٤٠، برقم ٢٩، وحسنه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ج٣/٣٤٣.

فائدة:

قال ابن القيم: "وذكرت مرة وأنا محموم قول بعض الشعراء يسبها:

زارت مكفرة الذنوب وودعت، تبًا لها من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد فقلت ألا ترجعي

فقلت: تبًا له إذ سب ما نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن سبه، ولو قال:

زارت مكفرة الذنوب لصبها أهلًا بها من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد فقلت: ألا تقلعي

لكان أولى به، ولأقلعت عنه، فأقلعت عني سريعًا.

وقد روي في أثر لا أعرف حاله «حمى يوم كفارة سنة»(١)، وفيه قولين، **أحدهما:** أن الحمى تدخل في كل الأعضاء والمفاصل، وعدتها ثلاثة مائة وستون مفصلًا، فتكفر عنه – بعدد كل مفصل – ذنوب يوم.

والثاني: أنها تؤثر في البدن تأثيرًا لا يزول بالكلية إلى سنة، كما قيل في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «من شرب الخمر، لم تُقبَل له صلاة أربعين يومًا»(٢): إن أثر الخمر يبقى في جوف العبد وعروقه وأعضائه أربعين يومًا، والله أعلم".(٣).

---

١) رواه تمام، فوائد تمام، ج١٢١/٢، برقم ١٣١٥، وقال الألباني: موضوع. سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١٣/ ٣٢٩.

٢) رواه أحمد، المسند، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج٤٥١/٤، برقم ٤٩١٨، وصححه المحقق أحمد شاكر.

٣) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ج٢٩/٤.

المبحث السادس عشر

التحذير والنهي عن سب الديك

عن زيد بن خالد الجهني – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يدعو الى الصلاة ".(١).

الشرح:

هذا هو النهي الرابع عشر من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وفي هذا النهي، ينهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سب حيوان من الحيوانات التي يستفيد منها الإنسان، ألا وهو الديك؛ وذلك لأن كل من استفيد منه الخير لا ينبغي أن يسب، ولا أن يُستهان به؛ بل يكرم، ويحسن إليه، والديك معروف أنه ذكر الفراخ، ولكن ما كنيته؟ وهل النهي عن سبه عام شامل لكل الديكة أم لا؟ ولماذا نهينا عن سبه؟

السؤال الأول: ما كنية الديك؟

قال السفيري: "الديك كنيته أبو اليقظان، ويسمى الأنيس والموأنس".(٢).

السؤال الثاني: هل النهي عن سبه عام شامل لكل الديكة أم لا؟

من خلال النظر في الحديث المتقدم؛ يتبين لنا أن هذا النهي عام شامل لكل الديكة، إذًا فيحرم على الإنسان أن يسب أي ديك مهما اختلف جنسه أو لونه؛ لأن الحديث عام.

---

١) رواه ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، ذكر الزجر عن سب المرء الديكة لأنها تحث المسلمين على الصلاة، ج٣٧/١٣، برقم ٥٧٣١، وصححه المحقق شعيب الأرنؤوط.

٢) شرح البخاري للسفيري=المجالس الوعظية في شرح حديث خير البرية– صلى الله عليه وسلم–ج٣١٩/١.

ولكن يمكن أن يعترض على هذا العموم بما يلي:

أنه وردت بعض الروايات التي تُخَصص لون الديك الذي نُهِي عن سبه، منها ما روي عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الديك الأبيض فإنه صديقي وأنا صديقه، وعدوه عدوي، والذي بعثني بالحق لو يعلم بنو آدم ما في قربه لاشتروا ريشه ولحمه بالذهب والفضة، وإنه ليطرد مدى صوته من الجن». (١).

وأجيب عن هذا:

أن هذه الرواية وإن كانت تخصص النهي بالديك الأبيض، إلا أنها رواية لا تصح، قال العجلوني: "وباب فضائل الديك الأبيض؛ لم يثبت فيه شيء، والحديث المسلسل المشهور فيه: "الديك الأبيض صديقي"؛ باطل موضوع"، وقال أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي: "حديث": الديك الأبيض حبيبي"، ورد فيه عدة أحاديث، وكلها لا تصح، قال السخاوي: أحاديث الديك كلها فيها ركاكة، وفي جميعها النكارة، وشدة الضعف، وتقدم أنه لم يصح منها إلا "إذا سمعتهم صياح الديكة". (٢).

قلت (أبو هَنَّاد): فيتضح من ذلك أن النهي عام، شامل لكل الديكة، مهما اختلفت ألوانها.

السؤال الثالث: لماذا نهينا عن سب الديك؟

لقد نُهِينا عن سب الديك؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أنه يدعو إلى الصلاة، فعن زيد بن خالد قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تسبوا الديك، فإنه يدعو إلى الصلاة".(٣).

---

١) رواه أبو الشيخ الأصبهاني، العظمة، ج١٧٥٨/٥، وقال العجلوني: باطل موضوع. كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ج٥١٨/٢

٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج٥١٨/٢، وأسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب صـ١٤٧.

٣) سبق تخريجه.

قال الحليمي:" ومعنى هذا أن العادة جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر، وكذلك عند الزوال، فِطرة فطره الله عليها، فيذكر الناس بصراخه، لا أنه حقيقة يقول للناس بصراخه قد جاءت الصلاة، أو يجوز لهم أن يصلوا بصراخه من غير دلالة سواها، إلا من امتحن منه ما لا يخلف، فصار ذلك إمارة، وفي نهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن سب الديك ما في صراخه من هذه الفائدة، دليل على أن كل مستفاد منه خير، فلا ينبغي أن يسب ويستهان، بل حقه أن يكرم ويتلقى بالإحسان".(١).

الثاني: أنه يوقظ المسلمين للصلاة، فعن زيد بن خالد، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة».(٢).

قال المناوي: "(فإنه يوقظ للصلاة) أي قيام الليل بصياحه فيه، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم".(٣).

وقال الحريملي: "أي لا يحمل أحدكم إيقاظ الديك له بصوته، على سبّه، إذ فوّت عليه لذيذ منامه؛ لأن ما يدعو إليه من الإيقاظ للصلاة، خير مما فاته من لذة النوم".(٤).

وقال الداودي: "يتعلم من الديك خمس خصال: حسن الصوت، والقيام في السحر، والغيرة، والسخاء، وكثرة الجماع".(٥).

---

١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ج٢/ ٥٥٧، وإرشاد الساري للقسطلاني ج٢/٣١٥ ، وفتح الباري لابن حجر ج٦/٣٥٣.

٢) رواه أبو داود، السنن، أبواب النوم، باب ما جاء في الديك والبهائم، ج٧/٤٢٩، برقم ٥١٠١، وقال العجلوني: إسناده جيد، كشف الخفاء ج٢/٤٣٧.

٣) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ج٢/٤٩٣.

٤) تطريز رياض الصالحين ج١/٩٧٤.

٥) فتح الباري لابن حجر ج٦/٣٥٣.

ولذلك قال بعض أهل العلم: "ويؤخذ من رواية (فإنه يوقظ للصلاة) أنه ينبغي للإنسان أن يتخذ ما يوقظه للصلاة، وذلك مثل الساعات المنبهة؛ فإن الإنسان ينبغي له أن يقتني من هذه الساعات، حتى تنبهه للصلاة في الوقت الذي يدرك فيه الصلاة، وكثير من الناس يتهاون في هذا الأمر، ينام معتمدًا على أنه سيقوم في الوقت الذي يريده، ولكن يغلبه النوم، فإذا علمت من نفسك هذا، فاجعل لنفسك منبهًا ينبهك للصلاة؛ لأن ما لا يتم المأمور إلا به فهو مأمور به، وأنت مثاب على هذا".(١).

ويؤيد ما ذكروه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقوم من نومه فيصلي، إذا سمع صوت الديك فعن مسروق، قال: سألت عائشة عن عمل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: «كان يحب الدائم»، قال: قلت: أي حين كان يصلي؟ فقالت: «كان إذا سمع الصارخ، قام فصلى».(٢).

قال النووي: "الصارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء، قالوا وسمي بذلك؛ لكثرة صياحه".(٣).

وما أثر عن أصبغ بن زيد الواسطي، قال: "كان لسعيد بن جبير ديك، كان يقوم من الليل بصياحه، قال: فلم يصح ليلة، فشق عليه، فقال: ما له قطع الله صوته؟ قال: فما سمع له صوتًا بعدها، فقالت أمه: يا بني، لا تدعِ على شيء بعدها".(٤).

---

١) شرح رياض الصالحين للعثيمين ج٦/٤٧٢ ، ٤٧٣.

٢) متفق عليه، رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب من نام عند السحر، ج٢/٥٠، برقم ١١٣٢، ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٧ – باب صلاة الليل، وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة، ج١/٥١١، برقم ١٣١.

٣) شرح صحيح مسلم للنووي ج٦/٢٣.

٤) أخرجه اللالكائي، كرامات الأولياء، برقم ١٥٧، وأبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٤/٢٧٤.

الثالث: أنه يؤذن للصلاة في وقت محدد، فعن زيد بن خالد – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الديك، فإنه يؤذن بالصلاة»(١)، وفي رواية «فإنه يؤذن بوقت».(٢).

قال ابن حجر: "وللديك خصيصة ليست لغيره من معرفة الوقت الليلي؛ فإنه يقسط أصواته فيها تقسيطًا لا يكاد يتفاوت، ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده، لا يكاد يخطئ سواء أطال الليل أم قصر، ومن ثم أفتى بعض الشافعية – القاضي حسين، والمتولي، والرافعي – باعتماد الديك المجرب في الوقت، ويؤيده الحديث الذي سأذكره عن زيد بن خالد".(٣).

قلت (أبو هَنَّاد): قيل إن وقت صياح الديكة يوافق صياح الديك الذي في السماء، فعن صفوان بن عسال قال: «إن لله – عز وجل – ديكًا تحت العرش، جناحه في الهواء، وبراثنه في الأرض، فإذا كان في الأسحار وأذان الصلوات خفق بجناحه، وصفق بالتسبيح، فيُسَبِّح الديكة، فتجيبه بالتسبيح».(٤).

وفي رواية عن ابن عباس، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن مما خلق الله لديكا براثنه على الأرض السابعة، وعرفه منضو تحت العرش، جناحاه بالأفقين، فإذا بقي ثلث الليل الآخر، ضرب بجناحيه ثم قال: سبحان الملك القدوس، سبحان ربنا الملك القدوس، لا إله غيره. فيسمعه ما بين الخافقين إلا الثقلين، فترون الديكة إنما تضرب بأجنحتها، إذا صرخت، إذا سمعت ذلك».(٥).

---

١) رواه النسائي، السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا سمع صياح الديكة، ج٩/٣٤٥، برقم ١٠٧٥١، وصححه الوادعي، الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين ج١/ ٣٠٧.

٢) رواه الطبراني، المعجم الأوسط ، باب السين، ج٤/٦٤، برقم ٣٦٢٠، وضعفه بعض المحققين، أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري ج٩/ ٦١١٩.

٣) فتح الباري لابن حجر ج٦/٣٥٣، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٧/٢٦٧٧. بتصرف.

٤) رواه الطبراني، المعجم الكبير، باب الصاد، ج٨/٦٨، برقم ٧٣٩١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة وهو ضعيف وقد حسن حديثه. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨/١٣٣، ١٣٤.

٥) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب العين، ج٤/٢٠٠، برقم ٤٢٥٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ابن إسحاق وهو ثقة مدلس، وبقية رجاله وثقوا. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨/١٣٣، ١٣٤.

قلت (أبو هَنَّاد): إن كان هذان الحديثان فيهما شيء من الضعف، فإن الحديثين الآتيين يقويهما.

فعن زينب بنت يزيد العتكية قالت: كنا عند عائشة – رضي الله عنها – فجاء رهط من أهل الشام فيهم شهر بن حوشب، فذكروا الصلاة ومواقيتها، فقال: إني أحب أن أتخذ ديكًا، إني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إن لله – تبارك وتعالى – ديكا رجلاه تحت سبع أرضين، ورأسه قد جاوز سبع سماوات يسقع في إبان الصلوات، فلا يبقى ديك من ديكة الأرض إلا أجابه»، فلا أحب أن يعدم بيتي أن أتخذ الديك".(١).

الرابع: أن الديك يذكر الله – تعالى –، فكان جزاؤه ذكره بالحسنى لا بضدها، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظم ربنا" قال: «فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا».(٢).

وعن عبد الحميد بن يوسف، قال: "صاح ديك عند سليمان – عليه السلام – فقال سليمان عليه السلام: هل تدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا. قال: فإنه يقول: اذكروا الله يا غافلين".(٣).

وعن ابن صادق – رحمه الله تعالى –، قال: «الديكة تجاوب الملائكة بالتسبيح هل رأيتم طيرًا يصيح بالليل».(٤).

---

١) رواه أبو الشيخ، العظمة، ذكر خلق جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الروح الأمين، ج٣/١٠٠٢، برقم ٥٢٣، وقال الصنعاني: سند جيد قوي. التنوير شرح الجامع الصغير ج٣/٢٦٧.

٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني، المستدرك على الصحيحين، ج٤/٣٣٠، برقم ٧٨١٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج١/٢٨١.

٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني، العظمة، ذكر خلق جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الروح الأمين، ج٣/ ١٠١٢، برقم ٥٣٢.

٤) رواه أبو الشيخ الأصبهاني، العظمة، ذكر خلق جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الروح الأمين، ج٣/ ١٠١٠، برقم ٥٢٩.

وإن قال المناوي: (إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك) أي عن عظمة جثة ديك من خلق الله – تعالى –، يعني عن ملك في صورة ديك، وليس بديك حقيقة، كما يصرح به قوله في رواية: "إن لله تعالى ملكًا في السماء يقال له الديك إلخ".(١).

قلت (أبو هَنَّاد): يمكن أن يجاب عن هذا من وجوه:

أولها: أنه لم يقل هذا الكلام أحد – على حسب بحثي – إلا المناوي، فهو اجتهاد له.

ثانيها: أن هذه الرواية التي استدل بها، لم أقف على أحد من المحدثين حكم عليها، ثم إن الأصل في اللفظ أن يحمل على الحقيقة، ولا يحمل على المجاز إلا لضرورة تقتضي ذلك، قال السيوطي: الأصل في الكلام الحقيقة، ثم استطرد قائلًا: نعم، إن هجرت الحقيقة تعين العمل بالمجاز الراجح، كأن حلف لا يأكل من هذه الشجرة، فإنه يحنث بثمرها، وإن كان مجازًا دون ورقها وأغصانها، وإن كان حقيقة.(٢).

ثالثها: أن أسماء الملائكة من الغيبيات، التي لا ينبغي لنا الخوض فيها إلا بدليل صحيح، ولا يوجد في مسألتنا، فيحمل لفظة الحديث على معناها الحقيقي ألا وهو الديك المعروف.

الخامس: أن صياح الديكة دليل على الخير، حيث إنه يحث المسلمين على الدعاء؛ لأنه رأى ملكًا، فلا ينبغي أن يسب، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: «إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانًا».(٣).

---

١) رواه أبو الشيخ الأصبهاني، العظمة، ج١٠١٣/٣، برقم ٥٣٣. فيض القدير للمناوي ج٢٠٨/٢.

٢) الأشباه والنظائر للسيوطي صـ ٦٣ ، ٦٤.

٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج١٢٨/٤، برقم ٣٣٠٣، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك،ج٢٠٩٢/٤، برقم ٢٧٢٩.

قال ابن رسلان: "هذا يدل على أن الله خلق للديك إدراكًا يدرك به الملائكة، كما خلق للحمير إدراكًا تدرك به الشياطين، والدعاء عند رؤية الملائكة يشبه تأمين الملائكة على الدعاء والاستغفار؛ لتتوافق الدعوات، فيستجاب للداعي، ولتشهد له الملائكة بالتضرع والاستغفار والإخلاص، وفيه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين والتبرك بهم".(١).

وقال الطيبي: "قوله: (إذا سمعتم) الحديث، لعل المعنى أن الديك أقرب الحيوانات صوتًا إلى الذاكرين الله؛ لأنها تحفظ غالبًا أوقات الصلوات".(٢).

١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ج١٩/ ٣٥٧.

٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ج٦/ ١٨٩٢.

المبحث السابع عشر

التحذير والنهي عن سب الشيطان

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تسبُّوا الشيطانَ، وتعوَّذوا باللهِ مِن شرِّه».(١).

الشرح:

هذا هو النهي الخامس عشر من التحذيرات والنواهي النبوية عن السباب، وهذا النهي يتعلق بسب شخصية مبغضة إلى قلوب العباد في كل زمان ومكان، ألا وهي شخصية الشيطان، فمن الشيطان؟ وما سبب تسميته بهذا الاسم؟ ولماذا نهينا عن سبه؟ فأقول:

السؤال الأول: من الشيطان؟

الشَيْطان هو إبليس، وهو روح شرِّيرة مغوية بالفساد، {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ}. (٢).

وقيل: الشيطان معروف، وكل عات متمرد من الإنس والجن والدواب شيطان.(٣).

قال الكفوي: "كل شيطان ذُكِر في القرآن فالمراد إبليس وجنوده، إلا {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ}(٤)، فإن المراد المجاهرين بالكفر، أو كبار المنافقين".(٥).

---

١) أخرجه أبوالطاهر المخلص، المخلصيات، ج٢/٢٩٢، برقم ١٥٧٢، وصححه الألباني، سلسلة الأحايث الصحيحة، ج٥/٥٤٧، ٥٤٨.

٢) سورة يونس، الآية : ٤٨. معجم اللغة العربية المعاصر ج٢/١٢٥٦.

٣) مختار الصحاح ص١٦٥.

٤) سورة البقرة ، الآية : ١٤.

٥) الكليات للكفوي صـ ٥٢٣.

السؤال الثاني: ما سبب تسمية الشيطان بهذا الاسم؟

قال ابن فارس: "(شطن) الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد". (١).

وقال الحموي: وفي الشيطان قولان:

أحدهما: أنه من شطن، إذا بعد عن الحق، أو عن رحمة الله، فتكون النون أصلية، ووزنه فيعال، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب، فهو شيطان، ووصف أعرابي فرسه فقال: كأنه شيطان في أشطان.

والقول الثاني: أن الياء أصلية، والنون زائدة عكس الأول، وهو من شاط يشيط إذا بطل، أو احترق، فوزنه فعلان. (٢).

السؤال الثالث: لماذا نهينا عن سب الشيطان؟

لقد نهينا عن سب الشيطان؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أننا مأمورون بالتعوذ بالله منه، ولم نؤمر بسبه، فمن سبه فقد ارتكب النهي، وترك الأمر، قال الدكتور مأمون حموش: "وقد أمر الله بالاستعاذة من شر هذا الوسواس وهو الشيطان، ولم يأمر سبحانه بلعنه وسبّه وشتمه، فإنما هو ابتلاء من الله، يسلطه على من اتبع هواه وأعرض عن دينه، فالخلاص منه يكون بالاستعاذة بالله منه، والالتجاء إليه بتعظيم دينه وشرعه، يروي الديلمي بسند صحيح عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شره". (٣).

---

١) مقاييس اللغة لابن فارس ج١٨٣/٣ – ١٨٥.

٢) المصباح المنير للحموي ج٣١٣/١.

٣) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ج٦٢١/٨.

الثاني: أن الشيطان إن سُب؛ تعاظم وفرح، فعن أبي المليح، عن رجل، قال كنت رديف النبي – صلى الله عليه وسلم – فعثرت دابة، فقلت: تعس الشيطان، فقال: "لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك، تصاغر حتى يكون مثل الذباب".(١).

قال ابن رسلان: "فيه أنه يكره لمن عثر في مشيته أو عثرت دابته، أو تعقد عليه خيوط يحلها، أو تعسر عليه شيء مما يتعاطاه، أن يقول: تعس الشيطان، أو لعن الله إبليس، أو نحو ذلك؛ لأن هذا القول في هذِه الحال يفهم الشيطان هو الذي أعثره وأوقعه في ذلك؛ فلهذا يتعاظم، ويعجبه نسبة الأشياء إليه، ونحن مأمورون بإذلاله وإهانته، وإلصاق وجهه بالتراب تحقيرًا له".(٢).

الثالث: أن الشيطان يتغيظ بسبه، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الشيطان فإنه يتغيظ، ولكن تعوذوا بالله – عز وجل – من شره».(٣).

الرابع: أن السب لا يدفع عنا ضرره، فلا فائدة من سبه، قال المناوي: "لا تسبوا الشيطان، فإن السب لا يدفع عنكم ضرره ولا يغني عنكم من عداوته شيئًا، ولكن تعوذوا بالله من شره، فإنه المالك لأمره الدافع لكيده عمن شاء من عباده".(٤).

قلت (أبو هَنَّاد): لكن قد يشكل على حديث الباب أمران:

أولهما: أنه كيف يُنهى المسلم عن سب الشيطان، وقد نص القرآن على سبه، حيث يقول الله – تعالى –: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا

---

١) رواه أبوداود، السنن، ج٤/٢٩٦، برقم ٤٩٨٢، وصححه الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود صـ ٢.

٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ج١٩/١١٧.

٣) أخرجه تمام، فوائد تمام، ج١/٣١١، برقم ٧٧٨، وصححه الألباني، سلسلة الأحايث الصحيحة، ج٥/٥٤٧، ٥٤٨.

٤) فيض القدير ج٦/٤٠٠.

مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}(١)، وقال – تعالى –: {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا}(٢)، فقد قال البغوي: "ومن يكن الشيطان له قرينًا، صاحبًا وخليلًا فساء قرينًا، أي فبئس الشيطان قرينًا"، وقال ابن عبد القوي – أيضًا –: "هو عام في ذم الشيطان"؟.(٣)

قلت (أبو هَنَّاد): ويمكن أن يجاب عن هذا بما يلي:–

قال الغزي: "روى المخلص عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تَسُبُّوْا الشَّيْطَانَ، وَتَعَوَّذُوْا بِاللهِ مِنْ شَرِّهِ"، وهذا النهي محمول على خلاف الأولى، وله وجهين:

الأول: أن الإنسان ينبغي له ألا يعود لسانه إلا خيرًا، كما قيل:

عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ وَارْضَ بِهِ...إِنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدْتَ مُعْتادُ

فلا يتعود الشر، ولو بسبب الشيطان المسبوب بنص القرآن، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا}.

والثاني: أن الشيطان لا ينقمع بالسب ولا باللعن، بل ربما يكون ذلك سببًا لتعاظمه كما في حديث والد أبي المليح.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب "الذكر" عن حصين، قال: سمعت مجاهدًا يقول "قل ما ذكر الشيطان قوم إلا حضرهم، فإذا سمع أحدًا يلعنه قال: لقد لعنت ملعنًا، ولا شيء أقطع لظهره من: لا إله إلا الله".(٤).

---

١) سورة النساء، الآية: ١١٧ ، ١١٨.

٢) سورة النساء، الآية: ٣٨.

٣) تفسير البغوي ج١/ ٦٢١، والإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية صـ ١٦٦.

٤) رواه ابن أبي الدنيا، كتاب الصمت وآداب اللسان، باب ذم اللعانين، صـ ٢٠٥، برقم ٣٧٩.

وروى أبو نعيم عن حسان بن عطية – رحمه الله تعالى – قال: "إن العبد إذا لعن الشيطان ضحك فقال: إنك لتلعن ملعنًا، وإنما تخذل ظهره أن تعوذ بالله".(١).

ثانيهما: أنه قد ورد عن رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يلعن الشيطان، فعن أبي الدرداء، قال: قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك» ثم قال «ألعنك بلعنة الله» ثلاثًا، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: "إن عدو الله إبليس، جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك، ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدا أهل المدينة".(٢).

ويجاب عن هذا:

قال الشيخ ابن باز في جوابه عن سؤال وُجِّه إليه، ونصه: "ما حكم قول الرجل: الله يلعن إبليس، أو سبَّه بحالٍ من الأحوال، خاصةً إذا كان يعتقد أن لإبليس سلطة عليه؟

فأجاب قائلًا: لا حرج في لعنه، ولكن التَّعوذ بالله أحسن، التَّعوذ بالله من الشيطان الرجيم أفضل، وإن لعنه فلا بأس، فقد لعنه النبيُّ – ﷺ –: جاء في الحديث الصحيح أنَّ الشيطان تفلَّتَ عليه وهو يُصلي، فقال له: ألعنُك بلعنة الله، فإذا لعنه فلا بأس، وإن استعاذ بالله من شرِّه، فذلك أفضل، وكلاهما جائزٌ.(٣).

---

١) رواه أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٦/ ٧٤. ينظر : حسن التنبه لما ورد في التشبه ج٦/ ٢٩٥ ، ٢٩٦.

٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة، ج١،٣٨٥، برقم ٥٤٢.

٣) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، .binbaz.org، مسألة: ما حكم سب أو لعن إبليس؟

المبحث الثامن عشر

التحذير والنهي عن سب آلهة الكفار

قال الله – تعالى –: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(١).

الشرح:

هذا هو النهي السادس عشر من النواهي والتحذيرات التي يجب على المسلم أن يجتنبها، وفي هذه المرة، النهي نهي قرآني، وهو نهي للمسلم عن سب آلهة الكفار، فلماذا نُهِي المسلم عن سب آلهة الكفار؟ وكيف ينهى عن سبها مع أن سبها في الأصل جائز؟

السؤال الأول: لماذا نُهِي المسلم عن سب آلهة الكفار؟

نُهِي المسلم عن سب آلهة الكفار؛ حتى لا يتجرأ الكفار، فيسبون الله – تعالى – حيث يقول الله – تعالى –: {فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

قال القرطبي: "قوله – تعالى –: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) نهي، (فَيَسُبُّوا اللَّهَ) جواب النهي، فنهى – سبحانه – المؤمنين أن يسبوا أوثانهم؛ لأنه علم إذا سبوها، نفر الكفار وازدادوا كفرًا، قال ابن عباس: قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهي محمدًا وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها، وإما أن نسب إلهه ونهجوه، فنزلت الآية.

قال العلماء: حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي – عليه السلام – أو الله – عز وجل –؛ فلا

---

١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية، وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل ب "الذين" على معتقد الكفرة فيها".(١).

السؤال الثاني: كيف يُنهى المسلم عن سبها مع أن سبها في الأصل جائز؟

قال الماتريدي: "نهانا الله – عز وجل – عن سب من يستحق السب؛ مخافة سب من لا يستحق السب".

فإن قيل: "كيف نهانا عن سب من يستحق السب؛ مخافة سب من لا يستحق، وقد أمرنا بقتالهم، وإذا قاتلناهم قاتلونا، وقتل المؤمن بغير حق من المناكير، وكذلك أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتبليغ الرسالة والتلاوة عليهم، وإن كانوا يستقبلونه بالتكذيب؟

قيل: إن السب لأولئك مباح غير مفروض، والقتال معهم فرض، وكذلك التبليغ فرض يبلغ إليهم، وإن كانوا ينكرون ما يبلغهم، وكذلك القتال نقاتلهم، وإن كان في ذلك إهلاك أنفسنا، وأصله أن ما خرج الأمر به مخرج الإباحة؛ فإنه يُنهى عما يتولد منه ويحدث، وما كان الأمر به أمر فرض ولزوم؛ لا يُنهى عن المتولد منه والحادث.

فعلى ذلك السب الذي يسب آلهتهم إذا حملهم ذلك على سب الله – عز وجل – وسب رسوله لا يسبون، وإن كانوا مستحقين لذلك؛ لأنه قد يُنهى الرجل أن يعود نفسه السب؛ فعلى ذلك يجوز أن ينهوا عن سب آلهتهم؛ مخافة الاعتياد لذلك نهوا عن سب آلهتهم.(٢).

---

١) تفسير القرطبي ج٧/٦١.

٢) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي ج٤/٢٠٧- ٢٠٩.

وقال الزمخشري: فإن قلت: سب الآلهة حق وطاعة، فكيف صحّ النهي عنه، وإنما يصح النهي عن المعاصي؟

قلت: ربّ طاعة علم أنها تكون مفسدة؛ فتخرج عن أن تكون طاعة، فيجب النهي عنها؛ لأنها معصية، لا لأنها طاعة كالنهي عن المنكر هو من أجلّ الطاعات، فإذا علم أنه يؤدّي إلى زيادة الشر؛ انقلب معصية، ووجب النهي عن ذلك النهي، كما يجب النهي عن المنكر.(١).

وقال الهروي: كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا؛ لئلا يكون سبهم سببًا لسب الله تعالى، والنهي منصب على الفعل المعلل، فإذا لم يؤدِ السب إلى سب الله – تعالى – جاز".(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): ويمكن أن يستدل على ذلك – أيضًا – بقاعدة سد الذرائع، فقد قال الجكني الشنقيطي: "وقد تقرر في الأصول أن الذرائع ثلاثة أقسام: واسطة وطرفان، طرف يجب سده إجماعًا، كسب الأصنام، إذا كان عابدوها يسبون الله مجازاة على سب أصنامهم، فسب الأصنام في حد ذاته مباح، فإذا كان ذريعة لسب الله؛ منع بنص قوله – تعالى –: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}، وكحفر الآبار في طريق المسلمين، فإنه ذريعة لترديهم فيها، وسد هذه الذريعة واجب إجماعًا يمنع ذلك".(٣).

---

١) تفسير الزمخشري ج٢/٥٦.

٢) مرقاة المفاتيح شرح المصابيح ج٦/٢٤٧٥.

٣) منهج التشريع الإسلامي وحكمته صـ ٢٧.

الفصل الرابع

مَن ورد نهي خاص ضعيف عن سبه

وينقسم هذا الفصل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: النهي عن سب مضر – رحمه الله –

المبحث الثاني: النهي عن سب السلطان.

المبحث الثالث: النهي عن سب الدنيا.

المبحث الرابع: النهي عن سب البرغوث.

المبحث الخامس: النهي عن سب الليل والنهار والشمس والقمر.

توطئة

هذا الفصل قد خصصته لبعض النواهي التي تخص شيئًا معينًا، إلا أن الدليل الوارد في النهي عن سببها ضعيف باتفاق المحدثين، أو باتفاق جمهورهم، وأذكر هذه النواهي للتحذير من اعتقاد صحتها، ولكن ينبغي أن يعلم قبل ذكرها، أنه ليس معنى أن الدليل قد ضعف فيها أنه يجوز لنا سببها؛ لأنه يمكن أن تندرج تحت النهي العام عن السب.

وفيما يلي بيان المباحث التي أشرت إليها سابقًا:

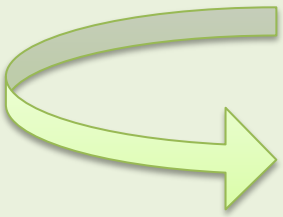

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

النهي عن سب مضر – رحمه الله –

عن عبد الله بن الحارث بن هشام المخزومي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " لَا تَسُبُّوا مُضَرَ فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ لِعَمْرِو بْنِ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفٍ، وَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَجُرُّ قُصْبَهُ(١) فِي النَّارِ".(٢).

السؤال الأول: من مضر؟ ولماذا سمي بهذا الاسم؟

مضر هو جد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – الأعلى، قال ابن دحية: "سمي به؛ لأنه كان يمضر بالقلوب لحسنه وجماله، ويعرف بمضر الحمراء، وكانت له فراسة وقيافة وكلمات حكمية، وقال السهيلي: هو من المضيرة شيء يصنع من لبن سمي به لبياضه، والعرب تسمي الأبيض أحمر؛ فلذلك قيل مضر الحمراء، وقيل بل أوصى إليه أبوه بقبة حمراء، وهو أول من سن للعرب حداء الإبل، وكان أحسن الناس صوتًا".(٣).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سب مضر؟

نهي المسلم عن سب مضر؛ لأنه كان مسلمًا، ومما يدل على ذلك ما يلي:

أ – عن عبد الله بن خالد قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم".(٤).

---

١) القُصْبُ: قيل: اسم للأمعاء كلها؛ وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء . لسان العرب ج١/٦٧٦.

٢) أخرجه أحمد، فضائل الصحابة، ج٢/٨٣٣، برقم ١٥٢٤، قال ابن عبدالبر: يقال إن حديثه مرسل، ولا صحبة له. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٣/٨٨٦، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ج١٠/٣٢٢.

٣) فيض القدير للمناوي ج٦/٤٠٠.

٤) أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٤٨، وقال السيوطي حديث مرسل، التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي ج٥/٢٢٤٩، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١٠/٣٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ب – عن ابن عباس، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين، ولا تسبوا قيسًا فإنه كان مسلمًا".(١).

قال المناوي:" (لا تسبوا مضر) جد المصطفى الأعلى (فإنه كان قد أسلم) وكان يتعبد على دين إسمعيل وإبراهيم ".(٢).

وقال الصنعاني:" (لا تسبوا مضر) جده – صلى الله عليه وسلم – الأعلى، قال السهيلي: إنه مشتق من المضيرة، وهو شيء يصنع من لبن سمي به لبياضه، والعرب تسمي الأبيض أحمر، ولذا يقال له مضر الحمراء، وقيل: بل لأنه أوصى له أبوه بقبة حمراء. (فإنه كان قد أسلم) ولا يحل سب مسلم، وذلك أنه كان على ملة إبراهيم ".(٣).

١) رواه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ج١٤/٥، برقم ٧٣٠٣، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ج٣٢٢/١٠، وقال القسطلاني: روى الزبير بن بكار من وجه آخر قوي مرفوعا "لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين" وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد بن المسيب. إرشاد الساري للقسطلاني ج١٨٤/٦.

٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ج٤٩٣/٢.

٣) التنوير شرح الجامع الصغير ج١٠٧/١١ ، ١٠٨.

المبحث الثاني
النهي عن سب السلطان

عن زيد بن أسلم عن أبيه، أنه خرج مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى الشام قال: فسمعت أبا عبيدة بن الجراح، يقول: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «لَا تَسُبُّوا السُّلْطَانَ، فَإِنَّهُ فَيْءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ».(١).

الشرح:

هذا النهي يتعلق بالسلطان، والتحذير من سبه، فلماذا نهينا عن سبه؟

لقد نهينا عن سبه؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أنه ظِل الله في الأرض، قال – صلى الله عليه وسلم – «لا تسبوا السلطان، فإنه فيء الله في أرضه».(٢).

قال الصنعاني: (لا تسبوا السلطان، فإنه فيء الله) أي ظله – تعالى – الذي جعله للعباد يتقون به حر التظالم ويأوون إليه، كما يأوي من أصابته الشمس إلى الظل (في أرضه) وهو عام للسلطان العادل والجائر، وذلك أن الدعاء عليه والسب له يزداد به شرًّا؛ فيزداد البلاء على الرعية".(٣).

الثاني: أن صلاحهم صلاح للأمة، وفسادهم فساد للأمة، فعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الأئمة، وادعوا لهم بالصلاح، فإن صلاحهم لكم صلاح».(٤).

---

١) رواه الشهاب القضاعي، مسند الشهاب القضاعي، لا تسبوا السلطان، فإنه فيء الله في أرضه، ج٢/٧٩، برقم ٩٢٢، ورواه ابن أبي عاصم، السنة، باب: ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زجر عن سب السلطان، ج٢/٤٨٧، برقم ١٠١٣، وضعفه الألباني وغيره، الجامع الصغير وزياداته ج٥/٢٨٩.

٢) سبق تخريجه.

٣) التنوير شرح الجامع الصغير ج١١/ ١٠٥.

٤) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب الألف، ج٢/١٦٩، برقم ١٦٠٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن شيخه الحسين بن محمد بن مصعب الأسناني ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد

قال الصنعاني: (لا تسبوا الأئمة) وإن جاروا، فإن سبهم زيادة لزيادة خذلانهم، وهو ضر بالرعايا (وادعوا) الله (لهم بالصلاح)؛ لأنهم إذا صلحوا، صلح حال الأمة (فإن صلاحهم لكم صلاح)؛ لأن بصلاح الراعي تصلح الرعية بصلاحه، ولذا كان الإمام العادل أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه، فإنه يصلح بصلاحه الأمة كلها، كما أنه يفسدا بفساد الأمة".(١).

الثالث: أن من سبه، فقد أهانه، وقد نهينا عن إهانته، فعن زياد بن كسيب العدوي، قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض، أهانه الله».(٢).

قلت (أبو هَنَّاد): ولكن يمكن أن يقال: إن سلطان الله في الحديث مختلف في المراد منه على قولين، وبيانهما كالتالي:

قال الصنعاني: قوله: "من أهان سلطان الله في الأرض" المراد بالسلطان الدليل والبرهان، وسلطان الله في الأرض هو القرآن، فمن أهانه ولم يعمل به، ولا قام بما أمر به ونهى عنه؛ أهانه الله بكل نوع من الإهانة.

ويحتمل أن يراد به الخليفة كما يدل له ذكر المحدثين له هنا، فالمراد به سلطان الحق الواجب الطاعة، وإهانته الإعراض عما يجب من امتثال أوامره واجتناب مخالفته، والخروج عليه وشق عصا المسلمين، وعليه يدل سبب رواية أبي بكرة للحديث.(٣).

ج٥/٢٤٩، وقال الألباني: ضعيف جدًا، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١٠/٣١٨ ، قلت: ولم أقف على أحد حسنه إلا المناوي، ينظر: التيسير شرح الجامع الصغير ج٢/٤٩٣.

١) التنوير شرح الجامع الصغير ج١١/١٠٣.

٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، سنن الترمذي، أبواب الفتن، ج٤/٥٠٢، برقم ٢٢٢٤، وحسنه الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي ج٢/ ١٠٥٤.

٣) التحبير لإيضاح معاني التيسير ج٣/ ٧٣٦.

وقال المناوي: "أراد بسلطان الله الإمام الأعظم، أو المراد بسلطانه ما يقتضيه نواميس ألوهيته". (١).

وقال مسدد: "وسلطان الله في الأرض كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –".(٢).

الرابع: أن الصحابة الكرام كانت تنهي التابعين عن سب الحكام، فعن أنس بن مالك، قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب».(٣).

قلت (أبو هَنَّاد): لكن قد يشكل على حديث الباب – وإن كان ضعيفًا –، حديث صحيح عن عوف بن مالك، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة».(٤).

قال الشوكاني:" فيه دليل على مشروعية محبة الأئمة والدعاء لهم، وأن من كان من الأئمة محبًا للرعية ومحبوبًا لديهم وداعيًا لهم ومدعوا له منهم فهو من خيار الأئمة، ومن كان باغضًا لرعيته مبغوضًا عندهم يسبهم ويسبونه فهو من شرارهم؛ وذلك لأنه إذا عدل فيهم، وأحسن القول لهم، أطاعوه، وانقادوا له وأثنوا عليه، فلما

---

١) التيسير بشرح الجامع الصغير ج٢/ ٣٨٧.

٢) مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه ج١/٣٤١.

٣) رواه ابن أبي عاصم، السنة، باب: ما ذكرعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زجر عن سب السلطان، ج٢/٤٨٨، برقم ١٠١٥، وقال الألباني: إسناده جيد ورجاله ثقات، ظلال الجنة في تخريج السنة ج٢/٤٨٨.

٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، ج٣/١٤٨١، برقم ١٨٥٥.

كان هو الذي يتسبب بالعدل، وحسن القول إلى المحبة، والطاعة والثناء منهم كان من خيار الأئمة، ولما كان هو الذي يتسبب – أيضًا – بالجور، والشتم للرعية إلى معصيتهم له، وسوء القالة منهم فيه؛ كان من شرار الأئمة ".(١).

ويجاب عن هذا:

قال الصنعاني:" وليس فيه دليل على جواز لعن أئمة الجور، فإنه إنما ساقه إخبارا بما يكون، ولا دليل على إباحة ذلك، قال الماوردي: الإمام إذا كان خيرًا، أحبهم وأحبوه، وإن كان شرًا، أبغضهم وأبغضوه، وأصل ذلك أن خشية الله تبعث على طاعته في خلقه، وطاعته فيهم تبعث على محبته، ولذلك كانت محبته دليلًا على خيره، وبغضهم له دليلًا على شره، وقلة مراقبته ".(٢).

١) نيل الأوطار للشوكاني ج٢٠٦/٧.

٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ج٥٣٣/٥.

المبحث الثالث

النهي عن سب الدنيا

عن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لَا تَسُبُّوا الدُّنْيَا، فَنِعْمَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ، عَلَيْهَا يَبْلُغُ الْخَيْرَ، وَبِهَا يَنجُو مِنَ الشَّرِّ».(١).

الشرح:

هذا هو النهي الثالث من النواهي الخاصة، وهو يتعلق بالدنيا، فلماذا سميت الدنيا بهذا الاسم؟ وما كنيتها؟ ولماذا نهينا عن سبها؟

السؤال الأول: لماذا سميت الدنيا بهذا الاسم؟ وما كنيتها؟

قال الخليل بن أحمد: "دنأ، دنو: دنؤ يدنؤ دناءة فهو دنيء، أي حقير قريب من اللؤم. والدنو، غير مهموز، دنا فهو دان ودني، وسميت الدنيا؛ لأنها دنت، وتأخرت الآخرة، وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا".(٢).

وأما كنيتها، فتُكنى الدنيا بأم دفر.

قال الخطابي:" الأدفر السيئ الرائحة، ومنه قيل للدنيا أمَّ دَفْرٍ، فأما الذفر بالذال معجمة، فهو كل ريح ذكية طيبة كانت أو منتنة، يُقَالُ: مسك أذفر".(٣).

السؤال الثاني: لماذا نهينا عن سبها؟

نهينا عن سبها؛ لأسباب منها:

---

١) رواه الشاشي، المسند، مسند عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – ج١/٣٨٧، برقم ٣٨٣، وقال الألباني: موضوع، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج١١/ ٦٩٩.

٢) كتاب العين للخليل بن أحمد ج٨/٧٥.

٣) غريب الحديث للخطابي ج٢/ ١٠٩، وجمهرة اللغة ج٢/ ٦٣٤.

الأول: أنها مطية المؤمن التي عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الدنيا، فنعم مطية الرجل، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر».(١).

الثاني: أن فيها يصلي المسلم ويصوم ويعمل الطاعات، فعن عبد الله بن سلمة، قال: سمعت عليًا، – رضي الله عنه – يقول: «لا تسبوا الدنيا فإن فيها تصلون، وفيها تصومون، وفيها تعملون».(٢).

مما سبق، يتبين لنا أن سب الدنيا منهٍ عنه، ولكن كما علمنا من تخريج الحديث "أنه لا يصح، فضلًا عن ذلك أنه ورد حديث أقوى منه، يدل على جواز لعن الدنيا، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم».(٣).

وإن كان بعض العلماء رد على ذلك كالسفيري، حيث إنه قال: ولا يعارض هذا قوله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر»؛ لأن هذا محمول على ما كان من الدنيا يقرب من الله، ويعين على عبادته، فإنه محمود بكل لسان، محبوب لكل إنسان، فمثل هذا لا يسب، بل يراعى فيه ويحب، كما أشار إلى ذلك في الحديث بقوله: «فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر».

وأما المباح لعنة الله من الدنيا، فهو ما كان مبعدًا عن الله، وشاغلًا عنه كما قال بعض السلف: كل ما شغلك عن الله من مال ولد فهو شؤم عليك، وهو الذي نبه

---

١) سبق تخريجه.

٢) رواه الطبراني، الدعاء، باب النهي عن سب الدنيا، صـ ٥٦٨، برقم ٢٠٥٣.

٣) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب»، السنن، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج٤/٥٦١، برقم ٢٣٢٢، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٦/٧٠٣.

الله – سبحانه – عليه بقوله: {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد}.(١).

قلت (أبو هَنَّاد): يمكن أن يسلم له ذلك، إن صح حديث النهي عن سبها، وقد سبق القول بأنه حديث لا يصح، فلا حاجة لنا إذًا إلى الاعتراض بحديث غير صحيح على حديث صحيح، بل نقول إن الحديث الذي ينهي عن سب الدنيا ساقط لا يصح الاحتجاج به، ونكتفي بحديث جواز لعن الدنيا، ثم يتبين لذي عقل بالنظر إليه أنه أباح لعن الدنيا، إلا أنه لم يطلق اللعن، حيث إنه استثنى منها ما يقرب إلى الله – تعالى –، فقال – صلى الله عليه وسلم –: "إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم" قال البكري: (إلاّ ذكر الله وما والاه) أي وما أدناه مما أحبه الله تعالى، والولي: القرب والدنو، والمعنى: الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما قاربه من الطاعة الموصلة لمرضاته".(٢).

---

١) سورة الحديد ، الآية : ٢٠. ينظر : شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري ج١/١٣٥.

٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للبكري ج٤/٤١٠.

المبحث الرابع

النهي عن سب البرغوث

عن أنس – رضي الله عنه – قال: سَبَّ رَجُلٌ بَرْغُوثًا عِنْدَ النَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: لَا تَسُبُّهُ فَإِنَّهُ أَيْقَظَ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ لِصَلاةِ الصُّبْحِ".(١).

الشرح:

هذا هو النهي الرابع من النواهي الخاصة، وهذا النهي يتعلق بالبرغوث، والبرغوث معلوم أنه من الحشرات، فلماذا نهينا عن سبه؟

لقد نهينا عن سب البرغوث؛ لأسباب من أهمها:

الأول: أنها نعمت الدابة، فعن علي بن أبي طالب قال: نزلنا منزلا فآذتنا البراغيث فسببناها، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تسبوها؛ فنعمت الدابة؛ فإنها أيقظتكم لذكر الله».(٢).

الثاني: أنه يوقظ للصلاة، فعن أنس، قال: كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلدغت رجلًا برغوث فلعنها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لا تلعنها، فإنها نبهت نبيًا من الأنبياء للصلاة».(٣).

---

١) رواه البزار، مسند البزار، ج١٣/٤٥٧، برقم ٧٢٣٣، وقال الهيثمي: في إسناد البزار سويد بن إبراهيم، وثقه ابن عدي وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨/٧٧، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١٣/٩١٥.

٢) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب الهاء، ج٩/١٢٦، برقم ٩٣١٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعد بن طريق وهو متروك. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨/٧٨.

٣) رواه أبو يعلى، مسند أبي يعلى، مسند أنس بن مالك، ج٥/٣٣٣، برقم ٢٩٥٩، وقال المحقق: حسين سليم أسد : إسناده واه جدا.

وفي رواية: عن أنس قال: ذكرت البراغيث عند النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال: «إنها توقظ للصلاة».(١).

الثالث: أن السلف الصالح أمروا بالتوكل على الله – تعالى – عند أذية البراغيث، ولم يأمروا بسببها.

فعن زرعة بن عبد الله الزبيدي، عن عبد الله بن كريز، قال: كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: "وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"}(٢) قال زرعة: «وهي تنفع من البراغيث».(٣).

١) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب الميم، ج٦/٤٠، برقم ٥٧٣٢، وقال الهيثمي: رجال الطبراني ثقات، وفي سعيد بن بشير ضعف، وهو ثقة. مجمع الزوائد ج٨/٧٧.

٢) سورة إبراهيم، الآية : ١٢.

٣) رواه ابن أبي الدنيا، التوكل على الله، صـ ١٠، برقم ٢٨.

المبحث الخامس

النهي عن سب الليل والنهار والشمس والقمر

عن جابر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «لَا تَسُبُّوا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَلَا الشَّمْسَ، وَلَا الْقَمَرَ، وَلَا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ، وَعَذَابُ لِآخَرِينَ».(١).

الشرح:

هذا هو النهي الخامس من النواهي الخاصة التي ضعف فيها الدليل، وهذا النهي ينهي عن سب خمسة أشياء: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، والريح، وهذه الأشياء معلومة، وقد صح النهي عن سب الريح، وتقدم الحديث عنه، فلماذا نهينا عن سب هذه الأشياء؟

ولقد نُهِينا عن سب هذه الأشياء؛ لأسباب منها:

الأول: أن هذه الأشياء رحمة لقوم، وعذاب لآخرين، فهي مسخرة بقدرة الله – تعالى–، لقوله –صلى الله عليه وسلم–:«فإنها رحمة لقوم، وعذاب لآخرين» والحديث وإن كان ضعيفًا، إلا أنه قد جاء في القرآن ما يؤيده، فقد قال الله – تعالى –: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.(٢).

الثاني: أن هذه الأشياء من آيات الله – تعالى –، فقد قال الله – تعالى –: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.(٣).

---

١) رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب العين، ج٥/٧٠، برقم ٤٦٩٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد بن بشير، وثقه جماعة وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٨/٧١ ، وضعفه البوصيري وغيره ، إتحاف الخيرة المهرة ج٦/٦٣.

٢) سورة القصص، الآية: ٧٣.

٣) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

الثالث: أن هذه الأشياء تسبح الله – تعالى –، قال الله – تعالى – {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}.(١).

فعن علي – رضي الله عنه – أنه قال:" لا تضربوا الدواب على رءوسها فإنها تسبح الله ".

وعن ابن عباس:" إن تسبيح هذه الأشياء: يا حليم، يا غفور".

وقال مجاهد:" كل الأشياء تُسَبِّح لله حيًا كان أو ميتًا أو جمادًا، وتسبيحها – سبحان الله وبحمده –".

وعن إبراهيم النخعي قال:" وإن من شيء جماد أو حي إلا يُسَبِّح بحمده، حتى صرير الباب ونقيض السقف ".(٢).

---

١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

٢) تفسير السمعاني ج٣/٢٤٤.

الخاتمة

بعد كتابة هذا البحث المتواضع، يتبين لنا أن للأخلاق مكانة مرموقة في ديننا العظيم، بها يدخل المسلم الجنة، بل ويسكن في أعلاها، وبها ينجو من النار، وبها يعيش بين الناس محبوبًا، وأن سوء الأخلاق يُعَد في شريعتنا جريمة نكراء، لا يقرها ولا يشجعها، بل يحاربها، ويضع لها روادع كثيرة، منها أن القرآن أولًا حذر منها، ثم سنة نبينا – صلى الله عليه وسلم –، ورتبا على من يتلبس بها، وتكون ديدنه عقوبات شديدة.

وتبين لنا – أيضًا – أن المحور الذي يُستَعمَل في التلفظ بالأخلاق الحميدة وضدها هو اللسان، ولذلك جعله نبينا – صلى الله عليه وسلم – مفتاح النجاة، فعن عقبة بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك».(١).

فعلينا أن نحافظ على سلامة هذا العضو من الرزائل، وأن نجمله بالفضائل، إن أردنا النجاة في الدنيا والآخرة.

نسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن يجعله في موازين حسناتنا.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه/
أبو هنَّاد عبدالله السواح الجندي الأزهري
بروكلين – نيويورك – أمريكا الشمالية
في ٢٣ من ربيع الأول ١٤٤١هـ
٢٠ / نوفمبر / ٢٠١٩م.

---

١) رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث حسن»، سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، ج٤/٦٠٥، برقم ٢٤٠٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	تقديم العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ صلاح الصاوي.....	٥
٢	تقديم العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ أحمد عبد الحي.....	٦
٣	تقديم العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ مصطفى مراد صبحي.....	٧
٤	المقدمة	٩
٥	**الفصل الأول:** تعريف السب والفرق بينه وبين السباب.....	١٤
٦	المبحث الأول: تعريف السُّبِّ.....	١٥
٧	المبحث الثاني: الفرق بين السَّبِّ والسِّبَابِ.....	١٦
٨	**الفصل الثاني:** النهي العام عن السب وموقف النبي – صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين منه.....	١٧
٩	المبحث الأول: النهي العام عن السَّبِّ والتحذير منه.....	١٨
١٠	المبحث الثاني: موقف النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين من السِّبَابِ.....	٢١
١١	**الفصل الثالث:** مَن ورد نهي خاص صحيح عن سبه.....	٣٢
١٢	المبحث الأول: التحذير والنهي عن سب الله – تعالى –.....	٣٤
١٣	المبحث الثاني: التحذير والنهي عن سب النبي – صلى الله عليه وسلم –.....	٤٢
١٤	المبحث الثالث: التحذير والنهي عن سب الصحابة – رضوان الله عليهم.....	٥٠
١٥	المبحث الرابع: التحذير والنهي عن سب المسلم.....	٦٥
١٦	المبحث الخامس: التحذير والنهي عن سب الأعراض	٧٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٧	المبحث السادس: تحذير الصائم ونهيه عن السب	٨٠
١٨	المبحث السابع: التحذير والنهي عن سب الوالدين.....	٨٩
١٩	المبحث الثامن: التحذير والنهي عن سب التائبين من أهل المعاصي	٩٧
٢٠	المبحث التاسع: التحذير والنهي عن سب قريش.....	١٠٦
٢١	المبحث العاشر: التحذير والنهي عن سب أهل اليمن.....	١١٢
٢٢	المبحث الحادي عشر: التحذير والنهي عن سب الأموات.....	١١٩
٢٣	المبحث الثاني عشر: التحذير والنهي عن سب تبع وورقة بن نوفل..	١٢٥
٢٤	المبحث الثالث عشر: التحذير والنهي عن سب الدهر.....	١٣٤
٢٥	المبحث الرابع عشر: التحذير والنهي عن سب الريح.....	١٤٠
٢٦	المبحث الخامس عشر: التحذير والنهي عن سب الحمى.....	١٥٠
٢٧	المبحث السادس عشر: التحذير والنهي عن سب الديك.....	١٦١
٢٨	المبحث السابع عشر: التحذير والنهي عن سب الشيطان.....	١٦٩
٢٩	المبحث الثامن عشر: التحذير والنهي عن سب آلهة الكفار.....	١٧٤
٣٠	**الفصل الرابع:** من ورد نهي خاص ضعيف عن سبه.....	١٧٧
٣١	المبحث الأول: النهي عن سب مضر – رحمه الله –.....	١٧٩
٣٢	المبحث الثاني: النهي عن سب السلطان.....	١٨١
٣٣	المبحث الثالث: النهي عن سب الدنيا.....	١٨٥
٣٤	المبحث الرابع: النهي عن سب البرغوث.....	١٨٨
٣٥	المبحث الخامس: النهي عن سب الليل والنهار والشمس والقمر.....	١٩٠
٣٦	الخاتمة.....	١٩٢
٣٧	الفهرس.....	١٩٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب